أضواء

على دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

سماحة السيد ياسين الموسوي

مؤسسة الحديث الشريف
دار بهجت الأمل

www.yassenn.com
شبكة يس

أضـــواء

على دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

جميع الحقوق محفوظة
لمؤسسة الحديث الشريف
١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مؤسسة الحديث الشريف
النجف الأشرف - شارع السور - مقابل جبل الحويش
Mobile: 07811779021 - E-mail:mh85mhm@yahoo.com

لبنان - طريق المطار نزلة العاملية تلفاكس: ٠١/٥٤٠٥١٦
٧١/١٤٩٥٩٨ - ٧٠/٨٧٧٤٦٩

دار بهجت الأمل

أضواء

على دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

سماحة السيد ياسين الموسوي

مؤسسة الحديث الشريف
دار بهجت الأمل

الإهـــداء

إلى المظلوم آية الله الشهيد السيد محمد باقر الحكيم قدس سره الشريف..

عشْتَ في روحي ووجداني اكثر من عقدين من الزمن وعشت معك في جهاد الظالمين، وجبهات القتال، وأزمات السياسة، وظلم القريب والبعيد، وجور الزمن، فرأيتُك ذاك الشجاع، المتفائل، الصابر، القائم الذي لا يخضع لعوادي الزمن كنخيل العراق، حتىٰ أبيتَ أن تموت إلا قائماً لا تركن إلى الأرض، وإنما تصعد بروحك وجسدك إلى السماء لتكون العلياء لك قبراً.

لقد أحببت فيك كمالَكَ، وجمالَكَ، وخُلُقَكَ، وشجاعتك، وجرأتك، وإقدامك، وعقلك، وحكمتك، وفقهك، ودينك، وتقواك، وبكاءك في الليل من خشية الله عزَّ وجل.. وبكاءك، وتوجعك وجزعك في مآتم الصدّيقة الكبرىٰ فاطمة الزهراء (عليها

السلام)، وسيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، وبالخصوص وأنت تقرء مصرعه الشريف.

اقرَّ الله عزَّ وجل عينك وأنت في مقعد صدق عند مليك مقتدر، بجوار أجدادك الطاهرين (عليهم السلام)، ولقّاك نضرة وسروراً.

يا كبير، احببت أن أُهدي ثواب كتابي هذا إلىٰ روحك الطيبة، راجياً منك أن لا تنساني من صالح الدعاء وأنت في عليين، فقد عودّتني على أن تقول لي مراراً: «أنا أذكرك في صلاة الليل».

وأذكرني مثل ذكراي لكم عند الأحبة محمد وآله الطاهرين (عليهم السلام).

محبُّك ياسين

١ شعبان ١٤٣٠هـ

مقدمة الطبعة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدّين.

قبل سنوات عدة مضت؛ طلب منّي الأخ العزيز سماحة حجة الإسلام السيد محمّد القبانجي دام عزّه (مدير مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي(عج) أن أحاضر في كليات النجف الأشرف والكوفة حول القضية المهدوية.

وتلقيتُ العرض باعتزاز وفخر، وقد ابتدأت المحاضرات في كلية التربية للبنات في النجف الأشرف، وكانت المحاضرة تحت عنوان: «حركة الإمام المهدي (عليه السلام) والحتمية الإلهية».

ثمَّ أردفتها بمحاضرة ثانية في كلية الآداب في النجف

الأشرف وكانت تحت عنوان: «دور العراق في حركة الإمام المهدي(عج)».

وكانت المحاضرة الثالثة في كلية الادارة والاقتصاد جامعة الكوفة تحت عنوان: «التطور الحضاري في دولة الإمام المهدي (عليه السلام).

وحاضرت بعدها في كلية الطب، جامعة الكوفة، وكانت المحاضرة تحت عنوان: «الإنسان الكامل في دولة الإمام المهدي (عليه السلام)».

واستمرت المحاضرات بعد ذلك في الكليات والمعاهد العلمية في باقي محافظات العراق الحبيب.

وكان أن ارتأى المركز طبع المحاضرات الأربع الأولى على شكل كتاب تحت عنوان «أضواء على دولة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف».

وكانت الطبعة الثانية على منوال الطبعة الأولى.

ولكنّي رأيت من الضروري تنقيح الكتاب وتحقيقه بالشكل الذي يخرجه من صورته التي ناسبت باسلوبه وتعبيره ولغته المحاضراتية؛ إلى إخراجه وتحقيقه بالشكل الذي يتناسب

بالاسلوب والتعبير الكتابي. فكانت تلك هي الطبعة الثالثة التي تفضل المركز مشكوراً باصدارها في شعبان ١٤٢٨هـ.

وبعد هذه السنوات فقد رأيت من المناسب أن أضيف فصلاً آخر يكون مدخلاً لهذا الكتاب، ليكوّن صورة موجزة وواضحة عن معالم دولة الإمام المهدي(عج).

داعياً المولىٰ سبحانه وتعالىٰ أن يوفّق الأخ السيد القبانجي للمزيد من العطاء للقضية المهدوية.

وأدعوه تعالى أن يتقبل منّي هذا الجهد القليل، وأن يغفر لي السهو والخطأ والزلل. إنه نعم المولىٰ ونعم الوكيل.

ياسين الموسوي

٢٩ رجب الأصب ١٤٣٠هـ

معالم دولة الإمام (عليه السلام)

طرح في الفكر الفلسفي الاجتماعي سؤال مهم: هل من الضروري إيجاد الدّولة، وما هو دورها في تحقيق سعادة الإنسان..؟

أم أن الدور الأساسي هو لإرادة الإنسان وفعله للسعادة.

فدوافع بناء حياة البشرية تعود ببناء الإنسان الكامل. فلو أمكننا أن نبني إنساناً كاملاً فإننا لا نحس وقتها بدور كبير للدولة..

أم أنّ المسألة عكسية، فإنّنا لا يمكننا أن نبني إنساناً كاملاً إلا إذا نجحنا ببناء الدولة الكاملة القادرة على توفير الظروف الملائكة لبناء الإنسان الكامل؟

لم يظهر هذا السؤال عفوياً على الأوراق التي اكتب عليها، وإنما هو معبّر عن جدلية فلسفية تأريخية في حياة الفكر البشري من يوم بدأ الإنسان يفكر باسلوب جماعي، ومن ثَمَّ أرَّخ لذلك

الفكر حينما سجَّل مفكرو البشرية تلك الرؤىٰ في كتبهم وسجّلاتهم.

ولا أُريد هنا وفي هذا الفصل أن أكتب كلَّ ما قاله الأوَّلون والآخرون؛ وحتى أنِّي لا أُريد أن الخصِّ ما ذكره اولئك من أفكار ورؤىٰ حول الدولة واهميتها في البنىٰ الاجتماعية في الحياة السياسية، والعملية للإنسان. فهذا الموضوع له مجالاته الخاصَّة به في النظريات المذهبية العلمية من وجهة نظر اسلامية تتحدث عن مكوِّنات المجتمعات الإنسانية، ودور الدولة في تكوينها.

وإنما المفروض أن يتجه الحديث إلى دائرة معرفة التفسير الشيعي لعقيدة المهدي(عج) التي تُعَدّ من أهم الأصول التوحيدية التي يؤمن بها الشيعة الإمامية.

ويمكنني أن أقطع جازماً أن المسألة مدروسة في عمومات الفكر الإسلامي العام بجميع مذاهبه؛ فقد أجمع المسلمون على ما نقلوه، ورووه عن الصحابة، عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) متواتراً، واعتمَدوا: بأن المهدي (عليه السلام) هو الإنسان الكامل القادر علىٰ بناء الحياة السعيدة للبشرية عندما يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.. وقد عدّوه وبشكل متسالم عندهم: أن العقيدة المهدوية بوجود مخلِّص في آخر الزمان اسمه المهدي؛ من ضرورات الدِّين.

ولكن الذي يتميز به الفكر الشيعي؛ أنّهم يؤمنون أن المهدي (عليه السلام) خصوصياته التي ذكرها المعصومون (عليهم السلام)، وأنه مولود سنة ٢٥٥هـ، وما زال يعيش بيننا عيشة حياة عادية كما يعيشها كل واحد منّا.

ويعتقد الشيعة الإمامية بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف): أنَّه يظهر بمجموعة من أصحابه المتميّزين الذين لا يقلّ عددهم عن ثلاثمائة وثلاثة عشر، ويعقد له علىٰ مجموعة أخرىٰ من أنصاره لا تقل عن عشرة الاف مخلص قوي قد امتحن الله تعالىٰ قلبه للايمان.

وقد روى الشيخ الفضل بن شاذان (رحمه الله تعالى) بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في حديث جليل: (أنّ القائم منّا (عليه السلام) منصورٌ بالرعب، مؤيد بالنصر... إلىٰ أن يقول (عليه السلام):

فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع عنده ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وأوَّل ما ينطق به هذه الآية ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾.

ثم يقول: أنا بقية الله، وحجَّتُهُ، وخليفته عليكم.

فلا يسلِّم عليه مسلِّم إلا قال: السلام عليك يا بقية الله في

أرضه. فإذا اجتمع العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج من مكة، فلا يبقىٰ في الأرض معبود دون الله عزَّ وجلَّ، وصنم، ووثن، وغيرها إلا وقعت فيه نار فاحترق، وذلك بعد غيبةٍ طويلةٍ[1].

وروىٰ الصّدوق بإسناده عن السيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال:

قلت لمحمد بن علي بن موسىٰ (عليهم السلام) [يعني الإمام الجواد (عليه السلام)]: إنِّي لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمّد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

فقال (عليه السلام): يا أبا القاسم! ما منّا إلا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلَّ، وهاد إلىٰ دين الله، ولكنَّ القائم الذي يطهِّر الله عزّ وجلَّ به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملأها عدلاً وقسطاً؛ هو الذي تخفىٰ علىٰ النّاس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته؛ وهو سمي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وكنيه، وهو الذي تطوىٰ له الأرض، ويذل له كل صعب، ويجتمع إليه من أصحابه عدّة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، من أقاصي الأرض،

---

(١) مختصر كفاية المهتدي، ص٢٢٢.

وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

فإذا اجتمعت له هذه العدّة من أهل الإخلاص أظهر الله أمره.

فإذا كَمُلَ له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عزّ وجلَّ... الحديث[2].

وأنّه عجل الله تعالى فرجه لا يظهر ما لم تتوفر هذه المجموعة من العدد من أولئك الأنصار.

ولم أجد من يشاركنا في المذاهب الاسلامية الأخرىٰ في هذه العقيدة النّاصّة على ضرورة وجود العدد المقرر ليظهر الله عزّ وجلّ بقية الله «عجل الله تعالى فرجه»، وإن شاركونا في ما رووا عن النبي (صلّى الله عليه وآله) وأصحابه، وغيرهم في كثير من التفاصيل المتعلقة بيوم الظهور، وعلاماته، وأحداثه، والانتصارات التي يحرزها الإمام (عجل الله تعالى فرجه)، وما يقوم به من انجازات اجتماعية، واقتصادية، وعسكرية، وأمنية، ومعيشية وتطور حضاري وتكنلوجي عظيم.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ١٤٨.

(٢) كمال الدين، الصدوق، ص٣٧٧، الباب ٣٦، الحديث ٢.

كما أن العقيدة الشيعية تشترك مع عقيدة الباقين من المسلمين على أن المهدي (عجل الله تعالى فرجه) سوف يؤسس أعظم دولة شهدتها البشرية من تأريخها الأول إلى يوم ظهوره. وسوف يعيش البشر فيها بسعاده مطلقة، أو شبه المطلقة، ويكون الإنسان فيها بمستوىٰ راقٍ من الكمال بما يمكننا أن نصوِّره نسخة عن الإنسان الكامل الذي تكلّم عنه (نيتشه) و(الفارابي)، و(أفلاطون).

النظرة الشيعية
للعلاقة الجدلية بين الإنسان والدولة

ويمكنني أن ألخِّص هنا الرؤية الشيعية الإمامية للعلاقة الجدلية بين الإنسان والدولة التي أثارها التساؤل في مقدمة الحديث بما يلي:

إن هناك علاقة جدلية تأريخية لا تنفك بين الإنسان قبل الدولة، والإنسان ما بعد الدولة.

فإن الإنسان الأول يكون الباني للدولة التي تبني الإنسان. ولا يمكننا تصور مجتمعاً إنسانياً متكاملاً من دون وجود دولة تحمل الهمَّ البنياني للإنسان وتكميله.

ووجود مجاميع عددية قيادية ذات مواصفات خاصة من العلم والمعرفة وغيرها، وقدرات غير طبيعية علىٰ الالتزام بمشروع القائد، وتنفيذ أوامره تنفيذاً حرفياً لا يخالفون فيه ولو بمقدار رأس شعرة.

ووجود قاعدة قيادية ميدانية دون تلك المجاميع في المواصفات، والقدرات، ولكنها تبقىٰ في مستوى عال جداً يؤهلها للالتزام بأوامر القيادة، وتنفيذها بشكل طوعي، وذكي، وعلمي بما ينسجم مع القوانين الاجتماعية التي لا تتغير حتىٰ بعد الظهور.

وسوف يكون عدد هؤلاء أكثر بكثير من تلك المجاميع.

كما أن هناك ضرورة لوجود مجتمع متطور بقدراته، وشخصيته، وفهمه للقضايا الكبيرة، قادر على استيعاب المشروع التأريخي للقائد التأريخي.

ومن البديهي أنّه لا يشترط في هذا المجتمع أن يكون بمجموعة العدد واسع المساحة، وإنما يكون بمساحته العددية قادراً على تحمّل ثقل الرسالة التي يجيء بها القائد المخلِّص.

فإذا توفرت هذه الشروط الطبيعية للحركة التغييرية فإنه سوف يظهر القائد، ومشروعه السماوي ليباشر بتنفيذه على الأرض.

وهنا يكون الإنسان الثاني: وهو إنسان ما بعد الدولة الذي يأخذ دوره التكميلي في ظل أحكام، وتوجيهات دولة الإمام المهدي(عج).

مكونات مشروع الإمام المهدي(عج)

وشرح هذه الخلاصة المتقدمة بشكلها الأوضح والأبين:

إن مشروع الإمام المهدي (عج) الكوني يرتكز على بناء الإنسان الفرد، والإنسان الجماعة، وايصاله إلى مستوىٰ عالٍ من الكمال: وهذا لا يمكن أن يتوفر إلا بالقيام بمرحلتين من مراحل تربيته:

المرحلة الأولى: (بناء الإنسان قبل الظهور):

وتكون المرحلة الألى في البناء الإنساني قبل ظهور دولة الإمام المهدي(عج) حيث الأدوار المختلفة التي قام بها الأنبياء (عليهم السلام)، وختمت بالدورة الرسالية الأخيرة، وهي نبوّة نبيّنا محمد (صلّى الله عليه وآله).

وكانت دورة رسالة الرسول الخاتم (صلّى الله عليه وآله) قد ابتدأت بحضرته النبوية (صلّى الله عليه وآله)، ثمَّ دخلت أطوارها المتنوعة، وادوارها المختلفة، إلى أن انتهت بالإمام الثاني عشر صلوات الله عليهم أجمعين.

وكانت الدورة الرسالية الخاتمة لختم القائمة النبوية، بالنبي محمد (صلّى الله عليه وآله)، والتي قد انتهت بالإمام المهدي صلوات الله عليه؛ هي الأطول زمناً في حياة دورة الرسالة

المحمدية (صلّى الله عليه وآله)، وذلك فإنّا قد علمنا أنّ تأريخ الرسالة قد بدأ من يوم ولادة النبي (صلّى الله عليه وآله)، أو يوم بعثته (صلّى الله عليه وآله)؛ وإن كان المؤرخون، وما جرت عليه عادة الناس، أن يؤرخوا التأريخ من يوم هجرته (صلّى الله عليه وآله).. وهو أمر اعتباري محترم لا أثر له في العقيدة..

ولكننا نرى هنا أنَّ المسألة التي طرحناها تختلف عن مسألة التأريخ المجرَّد الذي نؤرخ به؛ وإنما نقصد من التأريخ هنا: هو التأثير الفعلي الواقعي الذي احدثه وجود رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بين البشر.

وقد علمنا يقيناً أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كان مؤثراً بالمجتمع الإنساني من حين ولادته (صلّى الله عليه وآله)، فهو القدوة، والاسوة لجميع الناس حتّىٰ سموّه في الجاهلية بالصادق الأمين.

وهناك عدّة شواهد وروايات تأريخية تؤكد هذه الحقيقة، يمكنك أن تراجعها في كتب السيرة النبوية.

كما أن غياض بحيرة ساوة، وتزعزع ايوان كسرى، وما إلى ذلك من أحداث تاريخية حدثت ساعة ولادته تؤكد علىٰ أن ولادته (صلّى الله عليه وآله) لها الأثر الكبير في الحياة الإنسانية.

ومهما تكن بداية التاريخ فقد امتدّ إلى وفاة الإمام العسكري (عليه السلام) سنة ٢٦٠هـ؛ فإذا اضفنا إلى هذا الرقم التاريخي سنّي عمر النبي (صلّى الله عليه وآله) من ولادته حتى هجرته وهي (٥٣ سنة)، فسوف يكون المجموع (٣١٣). . أو إذا أردنا أن نبدأ التاريخ من حين بعثته (صلّى الله عليه وآله)، فإننا علينا أن نضيف رقم (١٣) وهو سني بعثته قبل الهجرة إلى الرقم (٢٦٠) فسوف يكون المجموع (٢٧٣) فقط.

فالرقم السنوي الذي عاشه جميع المعصومين قبل تصدي المعصوم الثاني عشر للإمامة، يتراوح ما بين (٣١٣) سنة، و(٢٧٣) سنة.

بينما نجد الرقم السنوي الذي يتمتع به بقية الله في الأرضين الأمام المهدي(عج) هو الاطول كثيراً من هذين الرقمين علىٰ احتمالين:

أولهما: أن نحسب عمره التأثيري من حين ولادته (صلوات الله عليه)، كما هو المختار عندنا، وهي سنة ٢٥٥هـ؛ فيكون عمره الشريف لسنتنا هذه وهي سنة ١٤٣٠هـ، هو: (١١٧٥) سنة.

وثانيهما: إن نحسب عمره التأثيري من حين تصديه للإمامة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بعد وفاة أبيه الإمام العسكري (عليه

السلام) صلوات الله عليه، وهي سنة (٢٦٠هـ)، فيكون عمره الشريف لسنتنا هذه التي هي سنة ١٤٣٠هـ، هو: (١١٧٠) سنة..

وإذا أضفنا إلىٰ هذا الرقم السنوات المقبلة إن شاء الله تعالىٰ.. وحتى يكون اليوم الذي قدَّره الله عزَّ وجلَّ، وحتّمه، وهو يوم مجهول التاريخ عنده، وعند جميع الخلق، والملائكة وجبرئيل (عليه السلام) منهم؛ ولا يعلمه إلا الله تعالىٰ وحده استأثر به لنفسه، فسوف يكون عمره الشريف (عليه السلام) هو الأطول من مجموع أعمار أجداده المعصومين الثلاثة عشر صلوات الله عليهم اجمعين.

إنّ هذا الرقم الكبير لم يكن رقماً ساذجاً عفوياً قد توقف الزمن فيه، ولم يفعل الإمام المهدي (عليه السلام) فيه شيئاً، أو كان متعطلاً عن الفاعلية والعمل ـ أعوذ بالله تعالىٰ، وإنما هو رقم زمني كان الإمام المهدي(عج) مؤثراً فيه كتأثير أجداده، وكان صلوات الله عليه فيه عاملاً كما عمل أجداده صلوات الله عليهم.

ولكن الفرق بين الموقفين هو: أن الأئمة السابقين من آبائه صلوات الله عليهم كانوا ظاهرين للناس، ومعروفين لديهم، ولذلك كان من السهولة، وبالشكل الطبيعي تنسب الأعمال الفاعلة والمؤثرة إليهم حتىٰ وإن قطعت الخيوط الأمنية مثلاً؛

ولذلك كان الخلفاء ينسبون جميع التحركات السياسية والعسكرية التي يقوم بها الناس الثائرون في عصور الأئمة عليهم السلام إلى نفس الأئمة مع تأكيد الأئمة (عليهم السلام) الشديد وقتها علىٰ ضرورة العمل بالتقية الشخصية المتعلقة بوجودهم الشريف كأشخاص.. والتقية النوعية المتعلقة بشيعتهم كنوع.

الاسلوب الأمني في عمل الأئمة (عليهم السلام)

وأنا علىٰ يقين أن الأئمة عليهم السلام كانوا قد استخدموا اسلوباً أمنياً شديداً في عصورهم أخفت كثيراً من أدوارهم السياسية والاجتماعية، مما أوهم رجال أمن السلطات عن تفاصيل تحركاتهم، فأربكهم الواقع الأمني السرّي، واوقعهم باللبس الذي نتج منه أن كلّ ما نقلوه من تقارير أمنية إلىٰ الجهات المختصة التي أوصلتها إلى قمّة الهرم، بالسلطة وهو الخليفة؛ كان غير دقيق، ولا يملك الدليل الميداني على صحة نتائجهم. ولذلك فإنَّهم كانوا يفشلون بتطبيق المعلومة الأمنية التي توصلوا إليها، بعدما تقبض السلطات على الإمام (عليه السلام) ـ وأي إمام منهم (عليهم السلام) ـ وتسلِّمه إلى جهة القرار وهو الخليفة آنذاك؛ فلا يجدوا أي دليل حسي وملموس ولو كان صغيراً يدين الإمام (عليه السلام) لمقاضاته حسب قواعدهم القانونية الجائرة،

مما كان يجبر السلطة على إدامة إعتقاله التعسفي، أو اطلاق سراحه صلوات الله عليه.

وليس لهذا الأمر إلا تفسيرين:

التفسير الأول:

إنّ تلك المعلومات الأمنية كانت كاذبة جملة وتفصيلاً، ولم تكن في الحقيقة إلا معلومات كيدية أريد منها إدخال الأذىٰ اللامبرر أمنياً، والاجرامي والارهابي على الإمام (عليه السلام).

فم يكن للإمام أي دور سياسي، أو اجتماعي في الحياة العامّة، وإنما كان دوره منحصراً في المجالات العلمية والتثقيفية.

ولكن الأدلة لا تساعد على هذا الادعاء بهذا الشكل المطلق وإنما صحّ في كثير من الحوادث والمصاديق، ولكن تبقىٰ هناك القضايا الكثيرة التي تخرج عن هذه القاعدة؛ مثلاً محاسبة الإمام الصادق (عليه السلام) من قبل المنصور الدوانيقي على جباية الأموال له، وكذلك ما حدث من قبل هارون الرشيد مع الإمام الكاظم (عليه السلام).

وإننا على يقين أن الإمام منهم (عليهم السلام) لم يكن قد

عطَّل حركته السياسية، والاجتماعية بالشكل المطلق؛ وانه (عليه السلام) لم يكن من الذين لا يهتمون بأمور المسلمين، ولم يكن من اولئك الذين لا يعيروا أهمية لما يجري حولهم، بل كانوا (عليهم السلام) على العكس من ذلك تماماً؛ فهذا أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي عاش قرابة الثلاثة والعشرين سنة مبعداً عن مركز القرار السياسي الرَّسمي، والذي حاول البعض من الكتَّاب أن يصفوه بعبارة: (كان جليس داره)؛ فإنه (عليه السلام) يقول وهو على رأس هرم الحكم والسلطة وقد غارت جند لمعاوية بن أبي سفيان بقيادة رجل غامدي علىٰ منطقة الأنبار:

(.. ولَقَدْ بَلَغَنِي أنَّ الرَّجُلَ مِنْهُم كانَ يَدْخُلُ على المرأةِ المُسْلِمَةَ، والأُخرىٰ المعاهَدَة، فَيَنْتَزِعَ حِجْلَها، وَقُلَبَها، وقَلائِدَها، ورعاثَها، ما تُمْتَنَع منه إلا بالإسْتِرجاع، والإسْتِرحام، ما نالَ رَجُلاً مِنْهم كَلَمٌ، ولا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ، فلو أنَّ إمْرَءاً مُسْلِماً ماتَ مِنْ بَعْد هذا أسَفاً؛ ما كانَ بِهِ مَلُوماً، بل كانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً.

فَيا عَجَباً ـ واللهِ يُمِيتُ القَلْبَ، ويجلب الهَمَّ ـ مِنْ إجْتِماعِ هؤلاءِ القَوم علىٰ باطِلِهِمْ، وتفَرّقُكُمْ عَنْ حَقِّكِمْ..)[1].

---

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٦٧.

هل يمكن لصاحب هذه النفس الكبيرة، والهمة القعساء، والقلب المكلوم أن يكون في يوم من الأيام جالساً في بيته؟!

إنَّه لا يمكن لي، ولا لأي إنسان شريف أن يتصور علياً ولو ليوم واحد جالساً في بيته، مشغولاً بهمِّه الشخصي؛ لا يهمّه من أمر الناس والأُمَّة شيء.

إنَّ اولئك الذين يريدون أن يبرروا لتقاعسهم عن اداء وظائفهم الشرعية، ويبرروا أعمالهم الإثّاقلية إلى الأرض، فيحاولوا أن يروا علياً (عليه السلام) مثلهم؛ وانَّىٰ لهم ذلك.. إن هو إلا اختلاق!!

وفي مستطرفات السرائر للشيخ ابن ادريس الحلي عن كتاب أبي عبد الله السياري عن رجل عن أصحابنا قال: ذُكر بين يدي أبي عبد الله (عليه السلام) مَنْ خرج من آل محمد، فقال (عليه السلام): لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد، ولوددت أنَّ الخارجي من آل محمّد خرج وعليَّ نفقة عياله.[1].

ولا يذهبنَّ بحلمك الشيطان فتتصور أن ما أقوله هو شرعنة للعمل المسلح بشكله المطلق، مستنداً إلى نصّ السياري عن

---

(١) مستطرفات السرائر، ص٥٦٨، مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤١١هـ، قم، إيران.

الإمام الصادق (عليه السلام) المتقدم؛ فهذا ما لا أقوله أبداً، وإنما بحثته في مكان آخر هو غير هذا البحث، وبيّنت هناك أنه من غير المشروع العمل المسلح في عصر الغيبة إلا بإجازة خاصّة من الفقيه العارف العالم بعصره العادل في حدود الدفاع عن الشريعة والدفاع عن المؤمنين، والدفاع عن النفس، علىٰ تفصيل مذكور في محلّه كما قلت، وكما سوف يأتي إجمال الحديث عنه في صفحات هذا البحث أيضاً.

وإنما أردتُ في نقل مثل هذه الروايات هو أن أؤكد على أنَّ الأئمة (عليهم السلام) لم يقبعوا في زوايا بيوتهم مهملين لوظائفهم الشرعية السياسية والاجتماعية، وغير ملتفتين لهموم الأُمّة، وبعيدين عن المجتمع وحوادثه. فهذا التصور من اللا أبالية مالا يقوله في حقِّهم (عليهم السلام) إلا جاهل، أو جبان، أو خبيث، أو من كانت فيه جميع هذه الأوصاف، أو بعضها، أو غيرها.

التفسير الثاني:

إن تلك المعلومات التي وصلت لأصحاب القرار في السلطة كانت كاذبة أيضاً، ولكنّها لم تأتي من فراغ؛ وإنما جاءت بسبب حالة واقعية ميدانية كانت علىٰ الأرض؛ فهناك حركة سياسية واجتماعية وتعليمية وتثقيفية متوازنة ومنظمة يحس بها الجواسيس

ويشعر بها رجال الأمن (وفي المصطلح الأمني القديم كانوا يسمونهم بـ: العيون).

وربما كان أولئك الجواسيس قد يحصلون على بعض المعلومات الأمنية التي يستفيدون منها لتكوين صورة عن الحركة، ولكنّهم كانوا يصطدمون دائماً بقوة السور الأمني الحديدي الذي كان قد بناه الأئمة (عليهم السلام). فكانت الخيوط تتقطع دائماً، ولا يصلون إلى رأس الخيط، وقمّة الهرم. ولذلك فهم يستعينون دائماً بالاسلوب التحليلي وليس الخبري بنسبة الحركة إلى الإمام (عليه السلام)، فيقعوا في مشكلة العوز المعلوماتي الأمني.

مميزات حركة الأئمة (عليهم السلام) السياسية

والحق أن حركة الأئمة صلوات الله عليهم كانت تتميّز بميّزات أساسية ثلاثة لم يفهمها أصحاب السلطة حينها، ولذلك وقعوا في الأخطاء الفادحة:

الميزة الأولى لحركة الأئمة (عليهم السلام)

إن مشروعهم لاستلام السلطة وإقامة حكم الإسلام بالدولة المباركة لم يكن مؤقتاً بوقت، ولم يُحَدَّد بزمان، فلذلك وجدنا الروايات الكثيرة الناهية عن التوقيت الزمني لظهور هذه الدولة المباركة الآتية؛ ومن تلك الروايات:

١ ـ روىٰ الكليني في الكافي الشريف باسناده عن عبد الرحمن بن كثير قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متى هو؟

فقال: يا مهزم! كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، ونجىٰ المُسَلِّمون[1].

٢ ـ وروىٰ باسناده عن الفضل بن يسار، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟

فقال (عليه السلام): كذب الوقاتون، كذب الوقاتون.

إنَّ موسىٰ (عليه السلام) لمّا خرج وافداً إلى ربِّه، واعدهم ثلاثين يوماً، فلمَّا زاده الله علىٰ الثلاثين عشراً، قال له قومه: قد أخلفنا موسىٰ. فصنعوا ما صنعوا.

فإذا حدَّثناكم الحديث، فجاء عليٰ ما حدَّثناكم به، فقولوا: صدق الله.

وإذا حدَّثناكم الحديث، فجاء على خلاف ما حدَّثناكم به، فقولو: صدق الله. تؤجروا مرّتين[2].

٣ ـ وروىٰ باسناده عن مهزم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ذكرنا عنده ملوك آل فلان، فقال:

إنَّما هلك النّاس من استعجالهم لهذا الأمر. إنَّ الله لا يعجل

---

(١) راجع الكافي، الأصول، ج١، ص٣٦٨.
(٢) الكافي: الأصول، ج١، ص٣٦٩.

لعجلة العباد. إنَّ لهذا الأمر غاية ينتهي إليها؛ فلو قد بلغوها لم يُسْتَقْدمُوا ساعة ولم يستأخروا[1].

الميزة الثانية لحركة الأئمة (عليهم السلام)

تأكيدهم (عليهم السلام) علىٰ الاسلوب السري.

وقد عنون في الروايات الشريفة تحت جملة من الأسماء مثل (التقية)، و(الكتمان)، و(حرمة الإذاعية)، وننقل بعضاً منها.

الكتمان

ومن جملة تلك الروايات:

١ ـ روى الكليني باسناده إلى الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه قال: «وددتُ واللهِ أنّي أفتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النَّزق، وقلَّة الكتمان[2].

٢ ـ وروىٰ عن زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): أُمر الناس بخصلتين، فضيَّعوها، فصاروا منهما علىٰ غير شيء: الصَّبر، والكتمان[3].

٣ ـ وروىٰ عيسىٰ بن أبي منصور قال: سمعت أبا عبد

---

(١) الكافي: الأصول، ج١، ص٣٦٦. الحديث ٧.
(٢) الكافي، ج٢، ص١٧٥، الحديث ١.
(٣) الكافي، ج٢، ص١٧٦، الحديث ٢.

الله (عليه السلام) يقول: نفس المهموم لنا المغتم لظلمنا تسبيح، وهمّه لأمرنا عبادة، وكتمانه لسرِّنا جهاد في سبيل الله[1].

٤ ـ وروىٰ البرقي في المحاسن بسند معتبر عن سليمان بن خالد قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): يا سليمان إنّكم علىٰ دين مَنْ كتمه أعزّه الله، ومَنْ أذاعه أذلّه الله[2].

الإذاعة

ومن جملة تلك الروايات:

١ ـ روىٰ الكليني في حديث عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه أوصىٰ جماعة فقال: ليقوّ شديدكم ضعيفكم، وليعد غنيُّكم على فقيركم، ولا تبثّوا سرَّنا، ولا تذيعوا أمرنا[3].

٢ ـ وروىٰ عن المعلّىٰ بن خنيس أنه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا معلّىٰ! اكتم أمرنا، ولا تذعه، فإنّه مَنْ كتم أمرنا ولم يذعه أعزّه الله به في الدنيا، وجعله نوراً بين عينيه في الآخرة يقوده إلى الجنّة.

يا معلّىٰ! مَنْ أذاع أمرنا ولم يكتمه أذلّه الله به في الدنيا،

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٢٦، الحديث ١٦.
(٢) المحاسن، البرقي، ج١، ص٢٥٧، باب التقية، رقم الحديث ٢٩٥.
(٣) الكافي، ج٢، ص١٧٦، الحديث ٤.

ونزع النور من بين عينيه في الآخرة، وجعله ظلمه تقوده إلى النار[1].

٣ ـ وروىٰ بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: مَنْ استفتح نهاره بإذاعة سرِّنا سلَّط الله عليه حرَّ الحديد، وضيق المحابس[2].

٤ ـ وروىٰ عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: سمعته يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): طوبىٰ لعبد نومة عرفه الله، ولم يعرفه الناس، اولئك مصابيح الهدىٰ، وينابيع العلم، ينجلي عنهم كلّ فتنة مظلمة؛ ليسوا بالمذاييع البذر، ولا بالجفاة المرائين[3].

٥ ـ وروىٰ عن محمد بن عجلان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن الله عزَّ وجلَّ عيَّر قوماً بالإذاعة، فقال: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾[4]، فإيّاكم والإذاعة[5].

٦ ـ وروىٰ باسناده عن أبي الحسن الكاظم (عليه السلام) أنه

---

(١) الكافي، ج٣٢، ص١٧٧، الحديث ٥.
(٢) الكافي، ج٢، ص٣٧٢، باب الاذاعة، الحديث ١٢.
(٣) الكافي، ج٢، ص٢٢٥، باب الكتمان، الحديث ١١.
(٤) سورة النساء، من الآية: ٨٣.
(٥) الكافي، ج٢، ص٣٧٠، الحديث ١.

قال: إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل.

قال: وكان عنده إنسان، فتذاكروا الإذاعة.

فقال: احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قياد رقبتك فتذل[1].

٧ ـ وروىٰ بسند معتبر عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾[2].

فقال: أما والله ما قتلوهم بأسيافهم، ولكن أذاعوا سرّهم، وأفشوا عليهم، فقتلوا[3].

٨ ـ وروىٰ عن يونس بن يعقوب عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: ما قتلنا مَنْ أذاع حديثنا قتل خطأ، ولكن قتلنا قتل عَمْدٍ[4].

وروىٰ عن اسحاق بن عمار عن الإمام الصادق (عليه السلام)، وتلا هذه الآية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾[5].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٢٥، الحديث ١٤.
(٢) سورة آل عمران، من الآية: ١١٢.
(٣) الكافي، ج٢، ص٣٧١، الحديث ٧.
(٤) الكافي، ج٢، ص٣٧٠، الحديث ٤.
(٥) سورة البقرة، من الآية: ٦١.

قال: والله ما قتلوهم بأيديهم، ولا ضربوهم بأسيافهم، ولكنّهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها، فأخذوا عليها، فقتلوا، فصار قتلاً، واعتداءاً، ومعصيةً[1].

التقية:

ومن جملة تلك الروايات:

١ ـ روىٰ الكليني بسند صحيح عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزَّ وجل: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا﴾؛ قال: بما صبروا علىٰ التقية: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[2]، قال: الحسنة: التقية، والسيئة: الاذاعة[3].

٢ ـ وروى باسناده إلى محمد بن مروان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان أبي (عليه السلام) يقول: وأي شيء أقرّ لعيني من التقية، أنّ التقية جُنّة المؤمن[4].

٢ ـ وفي الخبر الآخر عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: التقية ترس المؤمن، والتقية حرز المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقية له[5].

---

(١) الكافي، ج٢، ص٣٧٠، الحديث ٦.
(٢) سورة القصص، من الآية: ٥٤.
(٣) الكافي ج٢، ص٢١٧، باب التقية، الحديث ٥.
(٤) الكافي، ج٢، ص٢٢٠، باب التقية الحديث ١٤.
(٥) الكافي، ج٢، ص٢٢١، باب التقية، الحديث ٢٣.

ومع أنه قد جرت الطريقة الاستدلالية بين الفقهاء على بحث التقية في الشؤون التقوية الدينية أمام الاخرين من غير اتباع أهل البيت (عليهم السلام)، فإنّها لا تمنع من الاستعانة بظواهر هذه الأخبار علىٰ فهم الاسلوب السرّي الذي أسسه أهل البيت (عليهم السلام) بالتعامل السياسي والاجتماعي

ويدعم هذا الظهور، الفهم العرفي العام لمثل هذه الأخبار الشريفة، خصوصاً عندما نقرأ في الحديث الصحيح الذي رواه الكليني عن جميل بن صالح عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: احذروا عواقب العثرات[1].

ولا يمنع القول بعدم إمكان استعمال اللفظ في أكثر من معنى؛ من حمل كلام الأئمة (عليهم السلام) على أكثر من معنىٰ كما هو محقق في محله من الأبحاث الاصولية.

الميزة الثالثة لحركة الأئمة (عليهم السلام)

تحديد رؤيتهم للدولة الصالحة

فقد أسس الأئمة (عليهم السلام) مشروعهم السياسي لبناء الدولة الصالحة امتداداً لنفس المشروع السياسي الذي بناه الأنبياء السابقون (عليهم السلام)؛ وذلك لأن المشروع السماوي واحد،

---

(١) الكافي، ج٢، ص٢٢١، باب التقية، الحديث ٢٢.

وكلٌّ لا يتجزء، وإنما يقع دور كلّ نبيّ (عليه السلام) بموقعه من حركة التأريخ.

وكما سبق وأسلفنا بالقول: إنّ أدوار الأئمة (عليهم السلام)، وان اختلفت؛ ولكنها أجزاء متكاملة، ومتلاحقة، ومتواصلة من مرحلة دور دائرة خاتم الأنبياء جدّهم محمد (صلّى الله عليه وآله).

وإذا لاحظنا حياة الأنبياء (عليهم السلام)، فءننا نجد أنَّ كان الهدف الأساس لحركتهم السياسية هو بناء المجتمع التوحيدي؛ ولذلك فقد أخذ اهتمام تسلمِّ السلطة المحلية موقعاً ثانوياً لم يبرز في حياتهم بشكل واضح. ولهذا فقد قلَّ الأنبياء (عليهم السلام) الذين تسلَّموا السلطة، وحكموا العباد مباشرة عندما جلسوا على رأس هرم السلطة التنفيذية؛ وقد حدَّثنا القرآن عن واحد منهم (عليهم السلام) وهو نبي الله سليمان (عليه السلام).

وإنّي أتوقع وجود أنبياء آخرين غيره قد تسلَّموا السلطة التنفيذية، ولكن القرآن الكريم لم يذكرهم لحكمة أثارها عندما أراد أن يوجّه التوحيديين إلى أنّ التصدي لتسلم السلطة ليس محرَّماً، أو ممنوعاً، أو خارجاً عن اهتمام الشرائع السماوية، ولذلك فقد تصدَّىٰ بعض الأنبياء (عليهم السلام) لإدارة الحكم

في بعض الأزمنة، وفي بعض البلدان، علىٰ ما حدّثنا به المؤرخون وورد في بعض المأثورات المنصوصة بالحديث العام وإن لم يذكره القرآن الكريم.

وكذلك: فكأنه يريد أن يقول: إنّ المقصود من تسلمِّ السلطة هو إقامة العدالة، والحق، والقسط علىٰ نحوه المطلق الذي لا باطل فيه.

وإنّ الحصول علىٰ هذا الهدف الكبير غير ممكن إلاَّ ببناء مجتمع توحيدي متكامل قادر على تحقيق هذا الهدف، فلذلك كان يجلس على قمة أولويات أهداف وأغراض الأنبياء (عليه السلام) هو: بناء هذا المجتمع الفاضل ولو بنسب محدودة، ثمَّ يتكامل هذا المجتمع بما يقوم به الانبياء الاخرون الذين يأتون من بعده.

وكانت دوائر الأنبياء (عليهم السلام) قد ختمت بقوسي دائرة خاتم الأنبياء محمد (صلّى الله عليه وآله) عندما ابتدأ دورته بنبوته (صلّى الله عليه وآله)، وأدامها باوصيائه، وختمها بالمهدي (عليه السلام).

وكان يعلم الأنبياء جميعهم (عليهم السلام) من آدم فَمَنْ دونه زمنياً أنّ إقامة هذا العدل، والقسط، والحق غير متوفر إلا في

آخر أزمنة التأريخ المتقادم قبل يوم القايمة على يد رجل تأريخي مهم جداً اسمه المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف (فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً).. هكذا اقتضت المشيئة الالهية في سننه التأريخية.

وبما أنّه قد كانت سيرة الأئمة (عليهم السلام) الحلقة المهمة جداً جداً في قضية النبؤات، وقضايا الأنبياء (عليهم السلام)؛ فقد أخذت مسألة التصدي التنفيذ للدولة وبنائها محوريها: الفكري، والعملي، بنفس المنهاج الانبيائي السابق بعد أن تكامل هذا المنهاج تكاملاً كبيراً في نبوّة محمد (صلّى الله عليه وآله) الذي تصدّى بنفسه المقدسة لبناء المجتمع الاسلامي بكل قيِّمه واشكاله؛ وكان بناء الدولة فما تلك الاشكال النبوية لكيان المجتمع الانساني الإسلامي في طوره الأخير من التكامل البنيوي.

بمعنىٰ أن المشروع البنيوي الاجتماعي الانساني لبشرية قد تكامل بشكل نهائي في دولة صاحب الرسالة الخاتمة (صلّى الله عليه وآله)، وهو عبارة عن:

١ ـ السعي والتصدي لبناء الإنسان الفرد الكامل.

٢ ـ وبما أنه لا يمكنه أن يتحقق هذا الهدف بكل اجزائه إلا

بعد بناء الدولة الصالحة، فلذلك كان لزاماً التصدي لبناء الفرد الصالح، وبالتالي بناء المجتمع الصالح.

٣ ـ وقد وضع الهدف الأعلىٰ لهذا البناء بإقامة القسط، والعدل، وإزالة الظلم، والجور، والعدوان.

وهذا أمر نسبي مختلف بمراتبه، وكمالاته؛ يبتدأ من الدرجة العليا وهي الكمال المطلق، والعدل المطلق، والقسط المطلق الإنساني الذي هو التّجلي بنسبته للكمال المطلق، والعدل المطلق، والقسط المطلق الإلهي.

وينتهي بادنىٰ درجاته الدنيا من الكمال والعدل والقسط. ويلزم للوصول لهذه الدرجات جهاد، وتضحيات، وقرابين، وفداء.

وهنا شرَّع الأئمة (عليهم السلام) قانون المبادلة العادلة بين الدولة العادلة، ومقدار التضحيات، والقرابين، والفداء.

وهم يرون (عليهم السلام) أنّ الدولة العادلة المطلقة لا يمكنها أن تتحقق إلا بظل خاتم الوصيين المعصومين الإمام المهدي (عليه السلام)، ولا يمكنها أن تتحقق بوجه من الوجوه قبل ولادته، وقيامه بالأمر عجل الله تعالى فرجه.

لذلك كانت تربيتهم لشيعتهم في التصدي لبناء الدولة علىٰ المنوال التالي:

١ ـ في زمن حضور الأئمة (عليهم السلام) جميعهم إلا خاتمهم:

لا يشرع لأحد من الناس القيام بالثورة والتصدي السياسي والعسكري إلا بإذن خاص من المعصوم (عليه السلام).

ويستند هذا البند القانوني إلىٰ جملة من النصوص الشريفة، ومن جملتها:

١ ـ روىٰ الكليني بسند صحيح عن عيص بن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:

عليكم بتقوىٰ الله وحده لا شريك له، وانظروا لأنفسكم فوالله إنّ الرَّجل ليكون له الغنم فيها الرّاعي، فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي هو فيه يخرجه ويجيء بذلك الرَّجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها.

واللهِ لو كانت لأحدكم نفسان، يقاتل بواحدة يجرِّب بها، ثمَّ كانت الأُخرىٰ باقية، فعمل علىٰ ما قد استبان لها. ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة.

فأنتم أحقّ أنْ تختاروا لأنفسكم. إن أتاكم آت منّا، فانظروا

علىٰ أي شيء تخرجون، ولا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلىٰ نفسه، إنّما دعاكم إلىٰ الرِّضا من آل محمد (عليهم السلام) ولو ظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه.

إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه.

فالخارج منّا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؟!! إلىٰ الرضا من آل محمد (عليهم السلام)؟!!

فنحن نشهدكم إنّا لسنا نرضىٰ به، وهو يعصينا اليوم، وليس معه أحد؛ وهو إذا كانت الرايات، والألوية أجدر أن لا يسمع منّا...[1].

٢ ـ وباسناد عن سدير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا سدير، إلزم بيتك، وكن حلساً من احلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أنَّ السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو علىٰ رحلك[2].

فإن الرواية ناصّة بوضوح علىٰ منع الخروج في حياة المعصومين (عليهم السلام) علىٰ حكام الجور إلا بالإذن الخاصّ

---

(١) الكافي، الروضة، ج٨، ص٢٦٤، الحديث ٣٨١.
(٢) الكافي، الروضة، ج٨، ص٢٦٤ ـ ٢٦٥، الحديث ٣٨٣.

منهم (عليهم السلام)، ولذلك يقول الإمام الصادق (عليه السلام): (. . . ولا تقولوا خرج زيد، فإنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وإنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، ولو ظهر لوفىٰ بما دعاكم إليه. . .).

فإنّ من دلالات هذا النّص الشريف أنّ زيداً كان مأذوناً من المعصومين (عليهم السلام) بشكل خاص.

وربما يقول قائل: أنه لا يوجد في النَّص تصريح على إذن الإمام الصادق (عليه السلام)، بل ربّما يفيد قوله (عليه السلام): (فإنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه. . . الخ).

إنه لم يكن مأذوناً اذناً خاصّاً، ولذلك لم يصرِّح الإمام (عليه السلام) بالاذن، وإنما قال: بأنّ زيداً كان متمتعاً بصفاتٍ لائقة أهلته أن يتصدىٰ لهذا الأمر، وحينئذٍ فسوف يكون الحق في كل مَنْ تتوفر به هذه الصفات التصدي للثورة لأنه مؤهل لها ومستحق لهذا القيام.

ويجاب علىٰ هذا الإشكال بما يلي:

إن الواضح من كلمة «كان عالماً» هو «العلم اليقيني» لا

«العلم الظني»؛ فإنّ زيداً (عليه السلام) كان من «علماء آل محمد (عليهم السلام)» كما ورد في نصٍّ آخر. وهذه الصفة لا تتأتىٰ لكل أحد من الناس سوىٰ أصحاب الرتب التالية لمراتب المعصومين (عليهم السلام) من أمثال ساداتنا: العباس بن أمير المؤمنين، وعلي الأكبر، وزيد بن علي، والقاسم بن موسىٰ بن جعفر، ومحمد بن الإمام الهادي (صلوات الله عليهم أجمعين).

وأما الباقون من الناس (سواءاً كانوا من أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، وحواريهم، من أمثال: عمار بن ياسر، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وزرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم الثقفي، وغيرهم[1] فانَّهم غير مشمولين بهذا العنوان قطعاً، وإنما

---

(١) روىٰ الشيخ المفيد في: الاختصاص، ص٦١ باسناده عن الإمام ابي الحسن موسىٰ بن جعفر (عليهما السلام) قال:
إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد: أين حواري محمد بن عبد الله رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، الذين لم ينقضوا العهد، وحضوا عليه؟
فيقوم سلمان، والمقداد، وأبو ذر.
قال: ثمَّ ينادي: أين حواري علي بن أبي طالب وعلى محمد بن عبد الله رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟
فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر، وميثم بن يحيىٰ التمار مولىٰ بني اسد، وأويس القرني.
قال: ثم ينادي المنادي: أين حواري الحسن بن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟
فيقوم سفيان بن أبي ليلىٰ الهمداني، وحذيفة بن أسيد الغفاري.
قال: ثم ينادي: أين حواري الحسين بن علي؟

لهم مرتبة عالية جداً جداً، ولكنّهما دون مرتبة اولئك الأطهار من آل البيت (عليهم السلام) بمراتب كثيرة جداً جداً.

مع العلم أن بين اولئك الأهل والأصحاب تفاوت بالمراتب العلوية وليسوا هم على مرتبة واحدة، كما ورد في بعض النصوص الشريفة تفصيلات في هذا التفاوت لا مجال هنا لذكرها.

هذا؛ فضلاً عن باقي الآخرين الذين عاصروا الأئمة (عليهم السلام) ولم ينالوا تلك المرتبة من العلم.

فإن العلماء أقسام؛ منهم: العلماء الأئمة (عليهم السلام)، فكان مصطلح «العالم» كما ورد في بعض النصوص الشريفة عندما يسند الراوي الحديث إلى «العالم (عليه السلام)»، وقد كثر

فيقوم كلّ مَنْ استشهد معه ولم يتخلف عنه.
قال: ثمَّ ينادي: أين حواري علي بن الحسين؟
فيقوم جبير بن مطعم، ويحيىٰ بن أم الطويل، وابو خالد الكابلي، وسعيد بن المسيب.
ثمَّ ينادي: أين حواري محمد بن علي، وحواري جعفر بن محمد؟
فيقوم عبد الله بن شريك العامري، وزرارة بن أعين وبريد بن معاوية العجلي، ومحمد بن مسلم الثقفي، وليث بن البختري المرادي، وعبد الله بن أبي يعفور، وعامر بن عبد الله بن جذاعة، وحجر بن زائدة، وحمران بن أعين.
ثم ينادي سائر الشيعة مع سائر الأئمة صلوات الله عليهم يوم القيامة.
فهؤلاء أوَّل الشيعة الذين يدخلون الفردوس، وهؤلاء أوَّل السابقين، وأوّل المقرَّبين، واوَّل المتحورة من التابعين.

هذا الاستعمال في كتاب «فقه الرَّضا». كما أن وصف العالم هو من صفات الإمام الكاظم (عليه السلام).

كما أن وصف «العالم» يطلق على أصحاب الرتب العليا من ذريتهم فيسمّون بـ(علماء آل محمد (عليهم السلام)).

كما يصح اطلاق وصف العالم على بعض اصحابهم، وإن لم نجده فيما وصل إلينا من نصوص؛ فإننا لم نجد الرواة الأوائل قد وصفوا أحداً من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) بالعالم مع أنّه شيء ممكن وصحيح.

والفرق بين (العالم من ذرية آل محمد (عليهم السلام))، والعالم من أصحابهم: إن اولئك قد زقّوا العلم زقاً، فعلموا علماً يقينياً بواسطة الأئمة (عليهم السلام) مباشرة، أو رأوا ما في اللوح المحفوظ أحياناً أخرىٰ بواسطة فتح الأئمة (عليهم السلام) أبواب الرؤية لهم، واخذوا كل ما يحتاجون إليه من معرفة الدين أصولاً وفروعاً، ومن حلال وحرام، وغيرها من العلوم اللدنية.

بينما لم يصل أصحاب الأئمة (عليهم السلام) إلى هذه المرتبة من العلم، وإنما كان كلّ ما عندهم قد أخذوه من الأئمة (عليهم السلام)، ولكنّهم تعلموا أشياءاً مما يحتاجونه من العلم، لأنّ قابلياتهم الذاتية، والوقت، وغير هذا لم يسمح لهم

بتعلم أكثر من ذلك، ولذلك عيّن لهم الأئمة (عليهم السلام) قواعداً كلية يمكنهم أن يستفيدوا منها إذا أعوزهم النّص كما جاء ذلك في صحيح زرارة في (لا تنقض اليقين بالشك).

ويمكننا الاستعانة بما رواه الصدوق عن الإمام الرضا (عليه السلام) حينما أجاب المأمون عن زيد النار ابن الإمام موسىٰ بن جعفر (عليهما السلام)، ومقايسته بزيد بن علي (عليه السلام):

«لا تقس أخي زيداً إلى زيد بن علي فإنَّه كان من علماء آل محمد (صلّى الله عليه وآله)، غضب لله، فجاهد أعدائه حتى قتل في سبيله، ولقد حدَّثني أبي موسىٰ بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي (عليهم السلام) يقول: (رحم الله عمّي زيداً أنه دعىٰ إلىٰ الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفىٰ بما دعىٰ إليه، ولقد استشارني في خروجه، فقلت له: يا عم! إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة، فشأنك.

فلمّا ولّىٰ قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أبا الحسن! أليس قد جاء فيمن ادّعىٰ الإمامة بغير حقِّها ما جاء؟

فقال الرضا (عليه السلام): إنّ زيد بن علي لم يدع ما ليس

له بحق، وإنه كان أتقىٰ لله من ذلك، إنّه قال: ادعوكم إلى الرضا من آل محمد (عليهم السلام)...[1].

والخبر صريح بأنّ زيداً (عليه السلام) قد استشار الإمام الصادق (عليه السلام) في مسألة خروجه.

وربما يشكل على هذا الجواب: إن الإمام الصادق (عليه السلام) قال له: (إن رضيت أن تكون المقتول..»؛ ومؤدىٰ هذا الكلام الشريف: إنّك يا زيد، لا تخرج، فإنَّك لو خرجت فسوف تقتل، وذلك لأن الفائدة من غرض الخروج هو رفع الظلم، وهذا لا يتأتىٰ إلا بالانتصار العسكري علىٰ الظالم.

فإذا لم تتحقق النتيجة، فما هي الفائدة من الخروج إلا أن يقتل زيد نفسه.

فكأنّما يقول له الإمام (عليه السلام): يا زيد لا تخرج.. فإنك سوف لا تنتصر، ولا تستطيع أن ترفع الظلم، ولا تصل إلى نتيجة سوىٰ أن تقتل، وتصلب في الكناسة.

فلم يكن هذا إذن من الإمام (عليه السلام) لزيد.

ولكن يقال في الجواب:

إنّ هذا الظهور الذي ربّما يستظهره مَنْ يستظهره إنّما جاء من

---

(١) عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، ج٢، ص٢٢٥، باب ٢٢٥ الحديث ١.

كلمة (إن رضيت أن تكون المقتول. . .) فقط بالسكوت علىٰ حكمة «المقتول»؛ أمَّا لو قرأنا الجملة كاملة، فسوف لا يمكن للعربي الحاذق الفهيم أن يستظهر مثل هذا المعنىٰ، وانما معناه: إنّ هناك مَنْ أخبر عنه النبي (صلّى الله عليه وآله) وأوصياؤه صلوات الله عليهم أجمعين، سوف يخرج علىٰ بني أُمية، ويقتل، ويصلب بالكناسة، فإن رضيت أن تكون ذلك الشخص، فشأنك.

وإما أن هذا الخروج المؤدي إلىٰ القتل والصلب في الكناسة لهذا الشخص. . هل هو مذموم، أو ممدوح، فيمكننا الاستفادة من الروايات الأخرىٰ في هذا المضمار.

روىٰ الصدوق في العيون باسناده عن جابر الجعفي، عن الإمام الباقر (عليه السلام)، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) للحسين (عليه السلام): يا حسين! يخرج من صلبك رجلٌ يقال له: «زيد»، يتخطا هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّاً محجَّلين، يدخلون الجنة بلا حساب)[1].

وروىٰ باسناده إلى معمّر قال:

كنت جالساً عند الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام)،

---

(١) عيون اخبار الرضا (عليه السلام)، الصدوق، ج٢، ص٢٢٦، باب ٢٥، الحديث٢.

فجاء زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام)، فأخذ بعضادتي الباب، فقال له الصادق جعفر بن محمد (عليهما السلام): يا عم! أعيذك بالله أن تكون المصلوب بالكناسة... (إلى أن قال (عليه السلام):

حدَّثني أبي، عن جدي (عليه السلام) أنه قال: يخرج من ولده رجل يقال له: «زيد»، يقتل بالكوفة، ويصلب بالكناسة، يخرج من قبره حين ينشر، تفتح لروحه أبواب السماء، يبتهج أهل السماوات والأرض، يجعل روحه في حوصلة طير أخضر، ليسرح في الجنة حيث يشاء)[1].

وهناك أخبار اخرىٰ معتبرة وصحيحة سنداً تشهد لزيد بأنّ قتلته قتلة الصّدِّيقين، وإنه كان عاملاً بأمر المولىٰ إمام زمان الإماء الصادق (عليه السلام)؛ أعرضنا عن ذكرها خوفاً من الإطناب الممل. ولوضوح المطلوب.

وقبل أن ننهي هذه النقطة نؤكد على حقيقة مهمة وهي: أن الأئمة (عليهم السلام) كانوا لا يرفضون إقامة دولة تحكم بشيء من العدل، ولكنّهم في نفس الوقت لا يعتبرون هذه الدولة التي

---

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الصدوق، ج٢، ص٢٢٧، الباب ٢٥ والحديث ٤.

لو تسنّىٰ لها أن تقام، أنّها الدولة الأُمنية، وهي الغاية، وإنما سوف تكون مقيمة لمقدار من الحق، وإن لم يبلغ مداه.

وهو واضح من خلال بعض النصوص التي نقلناها، ومن خلال سيرتهم صلوات الله عليهم، وكانوا يقدرون التضحيات كلها، وبشكل محترم جداً لأولئك الذين ينتهجون هذا النهج الثوري، ويستشهدون من أجل هذه المبادىء الكبيرة، وقد سدّوا (عليهم السلام) على أصحابهم باب التوقع الكبير من أعمال مثل هذه الدول، وإنما تدخل تحت عنوان (دفع الظلم الكبير وإقامة العدل الممكن) الداخل ضمن قاعدة (ما لا يدرك كله لا يترك كله).

٢ ـ إن الأئمة (عليهم السلام) من دور الإمام الحسن المجتبىٰ (عليه السلام) وحتىٰ دور الإمام الحسين الزكي (عليه السلام)؛ كانوا يعملون بالعلم الغيبي اللدني، وكانوا يعلمون بهذا العلم بأنّهم (عليه السلام) سوف لا يحكمون، ولا يصلون إلى السلطة؛ وإنّ مهمتهم السياسية والاجتماعية هي بناء الاساس والقواعد الدينية التي سوف يبنىٰ عليها المذهب الحق بشكله الكامل النهائي.

وكانوا يعكسون هذه الحقيقة علىٰ جماهيرهم المؤمنة بهم بشكل واضح من خلال التأكيد على أن الدولة المعصومة غير

متحققة بالمطلق إلا علىٰ يد الإمام المهدي (عليه السلام). فلا يتوقعوا من الدول التي تحكم بشيء مِنَ العدل ان تحكم بالعدل المطلق، وإنما عليهم أن يكونوا واقعيين ويتسامحوا بما يقتضيه الواقع الطبيعي عن الخطايا التي تصدر من غير الدولة المعصومة والإمام المعصوم.

وفرضوا (عليهم السلام) على أفراد الأمة أن يقوموا بوظائفهم الشرعية المكلَّفين بها فقط. ولا يتوقعوا من الأئمة (عليهم السلام) دوراً عسكرياً أو سياسياً أكبر.

والنصوص الدالة على هذا المعنى كثيرة جداً منها:

روىٰ الصفار في البصائر بسند صحيح عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك إنِّي أريد أن ألمس صدرك.

فقال: إفعل.

فمسست صدره ومناكبه.

فقال: ولم يا أبا محمد؟

فقلت: جعلت فداك، إنّي سمعت أباك وهو يقول: إنّ القائم واسع الصدر، مسترسل المنكبين، عريض ما بينهما.

فقال: يا أبا محمد! إنّ أبي لبس درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وكانت تستخب[1].

---

(١) البصائر، ص٢٠٨.

وقد رويت هذه الرواية[1] بالفاظ اخرىٰ منها ما رواه الكليني في الكافي الشريف، عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال في حديث طويل: (. . . وإن عندي لسيف رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وإن عندي لراية رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ودرعه، ولامته، ومغفره. . . وإن عندي الاسم الذي كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إذا وضعه بين المسلمين والمشركين لم يصل من المشركين إلى المسلمين نشابة.

وإن عندي لمثل الذي جاءت به الملائكة.

ومَثَلُ السلاح فينا كمثل التابوت في بني إسرائيل، في أي أهل بيت وُجِدَ التابوت علىٰ أبوابهم أوتوا النبوّة؛ ومَنْ صار إليه السلاح منّا أوتي الإمامة.

وقد لبس أبي درع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فخطت على الأرض خطيطا، ولبستها أنا فكانت، وكانت؛ وقائمنا مَنْ إذا لبسها ملأها إن شاء الله[2].

وقد روي هذا المعنىٰ في أخبار مستفيضة. ومؤداها: أن السلاح كان موجوداً عند جميع الأئمة (عليهم السلام)، ولكنّهم

---

(١) وربما تكون هذه الرواية الثانية هي غير الأولى، ولكنها بمنزلة الشارحة لها. فلاحظ.

(٢) الكافي، ج١، ص٢٣٣.

غير مأمورين باستخدامه، وإنّما هو مذخور لخاتمهم القائم المهدي صلوات الله عليه.

وروىٰ الشيخ الفقيه محمد بن الحسن المعروف بابن شاذان في كتابه (مائة منقبة) التي رواها من حديث العامة في الأئمة (عليهم السلام)، باسناده عن أبي سليمان راعي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

لمّا أُسري بي إلىٰ السماء، قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[1].

قلت: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. قال: صدقت يا محمد مَنْ خلَّفت في أُمَّتِك؟

قلت: خيرها.

قال: علي بن ابي طالب.

قلت: نعم يا ربّي.

قال: يا محمد! إنِّي اطلعت على الأرض اطلاعة، فاخترتك منها، فشققت لك اسماً من اسمائي، فلا أُذكر في موضع إلا ذُكِرْتَ معي؛ فأنا المحمود وأنت محمد.

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٢٨٥.

ثمَّ اطلعتُ ثانيةً، فاخترت منها علياً، وشَقَقْتُ له اسماً من اسمائي، فأنا الأعلىٰ وهو عليّ.

يا محمد! إنّي خلقتك، وخلقت عليّاً، وفاطمة، والحسن، والحسين، والأئمة من ولد الحسين من سنخ نورٍ من نوري، وعرضت ولايتكم على أهل السماوات وأهل الأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومَنْ جحدها كان من الكافرين.

يا محمّد! لو أنَّ عبداً من عبيدي عبدني حتىٰ ينقطع ويصير كالشنّ البالي، ثمَّ أتاني جاحداً بولايتكم ما غفرت له حتى يقرَّ بولايتكم.

يا محمّد! تحب أن تراهم؟

قلت: نعم، يا ربِّي.

فقال لي: التفت عن يمين العرش.

فالتفتُّ؛ فإذا بعليّ، وفاطمة، والحسن، والحسين، وعليّ بن الحسين، ومحمّد بن عليّ، وجعفر بن محمّد، وموسىٰ بن جعفر، وعليّ بن موسىٰ الرضا، ومحمّد بن علي، وعليّ بن محمّد، والحسن بن عليّ، والمهدي في ضحضاح من نورٍ قيامٌ يصلّون. وفي وسطهم يضيئء المهدي كأنّه كوكب درّي.

فقال: يا محمّد! هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك،

وعزّتي وجلالي إنّه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي[1].

فقد رأينا في هذا النّص رأي العين: أنّ الوحيد من عترته صلوات الله عليهم أجمعين الذي سمّاه الله عزَّ وجل بـ(الثائر من عترتك)، هو القائم المهدي (عليه السلام).

وأوضح من هذه الأخبار دلالة ما رواه الكليني(ره) في الكافي باسناده عن عبد الله بن عطاء عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: قلت له: إنّ شيعتك بالعراق كثيرة، والله ما في أهل بيتك مثلك، فكيف لا تخرج؟

قال: فقال: يا عبد الله بن عطاء! قد أخذت تفرش أُذنيك للنوكىٰ[2]؟! أي والله، ما أنا بصاحبكم.

قال: قلت له: فَمَنْ صاحبنا؟

قال: انظروا مَنْ عَمِيَ علىٰ الناس ولادته، فذاك صاحبكم..)[3].

---

(١) مائة منقبة، لابن شاذان، ص٣٧ ـ ٤٠، المنقبة، ١٧.
(٢) النوكى: يعني الحمقىٰ.
(٣) الكافي: ج١، ص٣٤٢

وروىٰ باسناده إلى أبي حمزة قال: دخلت علىٰ أبي عبد الله (عليه السلام)، فقلت له: أنت صاحب هذا الأمر؟

فقال: لا.

فقلت: فولدك؟

فقال: لا.

فقلت: فولد ولدك هو؟

قال: لا.

فقلت: فولد ولد ولدك؟

فقال: لا.

قلت: من هو؟

قال: الذي يملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، علىٰ فترة من الأئمة، كما أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعِث على فترة من الرسل[1].

وروىٰ بسند صحيح عال عن أيوب بن نوح قال: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): إنّي لأرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وإنْ يسوقه الله إليك بغير سيف، فقد بويع لك، وضربت الدراهم باسمك؟

---

(١) الكافي، ج١، ص٣٤٠.

فقال: ما منّا أحدٌ اختلفت إليه الكتب، وأشير إليه بالأصابع، وسئل عن المسائل، وحملت إليه الأموال، إلا اغتيل، أو مات علىٰ فراشه، حتىٰ يبعث الله لهذا الأمر غلاماً منّا، خفي الولادة والمنشأ، غير خفي في نسبه[1].

(١) الكافي، ج١، ص٣٤٢.

الدَّولة في عصر الغيبة الكبرى

وهنا يطرح سؤال مهم جداً: هل استمر موقف الأئمة (عليهم السلام) في عصر الغيبة الكبرىٰ كما كان الحال عليه في عصر حضورهم (عليهم السلام)، أم أنّ لهم موقف؟ وما هو هذا الموقف الجديد إن وجد؟

هناك طريقتان بالجواب على هذا السؤال:

الطريقة الأولى: (ولاية المؤمنين)، و(ولاية الفقيه).

تعتمد الطريقة الأولىٰ للجواب علىٰ الأسس التي ينطلق منها الفقيه في معرفة دور الأمة في زمان الغيبة.. فهل انقطع الدور الإلهي عن الحياة الاجتماعية بانقطاع الاتصال بالإمام روحي فيه، فتعود المسألة إلى القواعد الكلية بولاية الإنسان على نفسه، والأُمَّة على مجتمعها؟

وهذا المنهج يسمّىٰ فقهياً بـ**(ولاية المؤمنين)**.

(ولاية الفقيه):

وهناك منهج ثاني للاجابة على هذا السؤال المهم، وهو يعتمد على قاعدة: أنّ كل ما ثبت للإمام المعصوم (عليه السلام) من الولايات العامة على الأمة فهو ثابت لنوّابهم العامّين في عصر الغيبة الكبرىٰ وهم الفقهاء العدول، ويستدلون بجملة من الروايات الشريفة أوضحها التوقيع الشريف الصادر عن الإمام الحجة (عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف): (وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلىٰ رواة حديثنا فإنّهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم)[1].

ومجموعة روايات أخرىٰ[2].

ويصرّ أصحاب هذا المنهج الفقهي علىٰ أن المعصومين (عليهم السلام) الذين لم يتركوا الساحة الاجتماعية، ولم يهملوا الأُمَّة في مدة لا تزيد عن (٢٦٠) سنة من هجرة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله)، ودخلوا معترك الحياة، واستشهدوا جميعهم في هذا الطريق.. فكيف يمكنهم أن يتركوا

---

(١) كمال الدين، الصدوق، ص٤٨٤، الباب ٤٥، الحديث ٤. الغيبة؛ الطوسي، ص٢٩١، الفقرة ٢٤٧؛الاحتجاج، الطبرسي، ج٢، ص٢٨٣؛ الخرائج والجرائح، ج٣، ص١١١٤.

(٢) من أفضل كتب الاستدلال على ولاية الفقيه، كتاب عوائد الأيام للشيخ النراقي، ص٢٥٩، الفائدة ٥٤؛ وفي كتاب البيع، للإمام الخميني، ج٢، ص٦٢٧.

الأمّة بلا ربّان في مدة سوف تكون أكثر من تلك المدّة بمرات كثيرة؟!!

كما ينظرون إلىٰ المسألة من وجهة التشريع الإلهي الذي تَدَّخَل بصغائر الأمور الحياتية للإنسان حتى الخرّاطات التسع، وآداب الاطعمة والأشربة، وقضايا الزراعة والبستنة، والطهارة والنجاسة.. فكيف يمكنه أن يترك أهم موضوع ومسألة تنظيمية لحياة الإنسان وهو مشروع الدولة التي تحكمه؟

ولا اريد هنا في هذه العجالة أوضح أيّ الموقفين يمكننا الاتجاه إليه عملياً، وفقهياً، فقد عالجناه في أبحاثنا الفقهية التي اختصت بمسألة «ولاية الفقيه» استدلالياً.. وإنما أردت أن أقول: إن المرجع لتحديد الرؤية الفوقية لبناء الدولة في عصر الغيبة الكبرىٰ ترجع إلى المنهج الفقهي الذي يعتمده الفقيه (مرجع التقليد).

الطريقة الثانية: «الحُسْبة» الفقهية.

وتعتمد هذه الطريقة الثانية للجواب على السؤال المتقدم على مجموعة من الأُسس الفقهية:

الأساس الأوَّل: قد حددت الشريعة المقدمة أن المرجعية القيادية في عصر الغيبة الكبرىٰ محصورة بالفقهاء العدول.

قال الشيخ المفيد في كتابه (المقنعة):

(فأما إقامة الحدود فهو إلىٰ سلطان الإسلام المستصوب من قبل الله تعالىٰ، وهم أئمة الهدى من آل محمد (عليهم السلام)، ومن نصّبوه لذلك من الأمراء، والحكام.

وقد فوَّضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان، فمن تمكّن من إقامتها علىٰ ولده وعبده، ولم يخف من سلطان الجور إضراراً به على ذلك فليقمها.

ومن خاف من الظالمين اعتراضاً عليه في إقامتها، أو خاف ضرراً بذلك على نفسه، أو على الدين، فقد سقط عنه فرضها. وكذلك إن استطاع إقامة الحدود علىٰ من يليه من قومه، وأمن بوائق الظالمين في ذلك، فقد لزمه إقامة الحدود عليهم، فليقطع سارقهم، ويجلد زانيهم، ويقتل قاتلهم... الخ)[1].

ويتفق على هذا الأساس والعمل بهذه القاعدة جميع فقهاء الشيعة الإمامية حتى اولئك الذين لا يقولون بولاية الفقيه، ويستندون بتصحيح هذه القاعدة علىٰ عناوين متعددة منها قاعدة «الحسبة» المتيقن لتشخصها بالفقيه الجامع للشرائط كما هو مبنىٰ سيِّدنا الاستاذُ الإمام الخوئي قدس سره الشريف.

---

(١) المقنعة، الشيخ المفيد، ص٨١٠.

الأساس الثاني:

حرمة الدعوة العسكرية لإقامة الدولة المنتظرة ببناء المعسكرات، وتجميع الرجال والسلاح، ومباشرة القتال بالعناوين الخاصة المرتبطة بالإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه.

فمثلاً أن تدعو جماعة بشكل عسكري ومنظم تحت عنوان أنَّها المأمورة بالاتصال المباشر بالإمام(عج) للتمهيد لظهوره.

وبرهن على هذا الأساس بالنصوص الشريفة التي قد ذكرت بعضها سابقاً، ومن أبرزها التوقيع الشريف المانع من المشاهدة.

وعلى هذا الأساس فسوف تكون جميع الادّعاءات التي ظهرت في عصر الغيبة الكبرىٰ تحت عنوان النيابة الخاصّة باطلة ومنحرفة وإن تزيَّت بصور مقدَّسة، وعناوين جليلة مثل: النائب الخاص، والحسني، واليماني، والخراساني، وغيرها.. بل يشمل هذا الأساس العناوين القبيحة أيضاً مثل السفياني؛ لأنها مرتبطة بتحديد موقع الظهور المنهيين عنه.

الأساس الثالث:

ضرورة الدعوة الفكرية، والسياسية، والاجتماعية وغيرها من الدَّعوات الحياتية الطبيعية لعنوان المولىٰ (عجل الله تعالى فرجه)

بالاتجاه العام، وتثقيف الأُمَّة على حضوره(عج) الحقيقي الميداني وسط الأُمّة في مشاكلها ومحنها، وأفراحها، واراحها.

ويدخل تحت هذا الأساس استخدام عنوان النائب العام للفقهاء العدول، وغيرها من العناوين العامّة التي يمكن اطلاقها على كثير من مرافق الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية.

الأساس الرابع:

عدم التصدي الشخصي لمواجهة الانحراف السياسي بنحو الانشقاق على القيادة الشرعية المتمثلة بالمرجعية إلا في مقام الدفاع عن النفس المرخَّص له شرعاً طبق فتاوىٰ الفقهاء سلمهم الله تعالى.

ولا بدَّ من موافقة الفقيه العادل علىٰ أي عمل سياسي كبير لبناء الدولة في عصر الغيبة الكبرىٰ، وتحمل على هذا المعنىٰ كثير من النصوص الشريفة المانعة من (الخروج) إلىٰ (قيام القائم(عج)).

ومن جملة تلك النصوص:

١ ـ روىٰ الكليني باسناده عن الإمام علي بن الحسين (عليهما السلام) قال: والله لا يخرج أحدٌ منّا قبل خروج القائم إلا كان

مَثَلُهُ كَمَثَلِ فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه، فيأخذه الصبيان فعبثوا به[1].

٢ ـ وروىٰ باسناده عن سدير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا سدير الزم بيتك، وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك أن السفياني قد خرج فارحل إلينا ولو على رجلك[2].

٣ ـ وروىٰ باسناده عن أبي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: كل راية ترفع قبل قيام القائم (عليه السلام) فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله عزَّ وجل[3].

ولا اشكال في أن هذه الرواية الناهية عن الخروج تشمل الصور التي هي غير صورة الدفاع عن النفس، والخوف علىٰ بيضة الإسلام لأنّهما خارجتان تخصصاً لورود الأدلة الكثيرة على وجوبهما.

وإن المشمول بالنهي هو الانتقاء بالموقف، والعجلة بالقرار لغير الفقهاء العدول؛ وذلك لأن غير الفقهاء العدول لا يملكون

---

(١) الكافي، ج٨، ص٢٦٤، الحديث ٣٨٢.
(٢) الكافي، ج٨، ص٢٦٤، الحديث ٣٨٣.
(٣) الكافي، ج٨، ص٢٩٥، ص٤٥٢.

صلاحية تحريك الأُمَّة عسكرياً باتجاه معيّن، وإنما الأمر موكول إلى الفقيه الجامع للشرائط فقط.

الأساس الخامس:

إن الدعوة لإقامة الدولة العادلة تكون دعوة إلىٰ العدالة النسبية، لأن الحكام ومهما كانوا من العدالة فإنّهم لم ولن يصلوا إلى مستوىٰ العصمة التكوينية؛ كما أن المجتمع الذي يحاولون أن يقيموا العدل فيه يبقىٰ مجتمعاً في طور التكامل في مدارجه غير المتكاملة.

وعلىٰ هذا الأساس فسوف لا يمكن لدعاة هذه الدعوة أن يصوّروا للناس بأنّهم يملكون الحصانة الكلية التي لا يمكن لأحد أن يردّ عليهم، أو يقوّمهم، وإنما يلزمهم أن ينبهوا وباستمرار علىٰ موقعهم الطبيعي القابل للخطأ والرَّد، والحوار والنقاش.

كما أن علىٰ الأمة أن تدرك هذه الحقيقة فتكون توقعاتها بمستوىٰ طردي مع ما يتمتع به حكام هذه الدولة، فلا يبالغوا بتوقعاتهم ويحاسبون حكامهم على كل الهفوات والاخطاء الصغيرة والطبيعية.

الأساس السادس:

الدعوة الثقافية والفكرية والاجتماعية للدولة العظمىٰ لبقية الله

عزص وجل مع التأكيد علىٰ قاعدة: استحالة معرفة زمان ظهوره، واستحالة الاتصال المباشر به.. ومع هذا فتبقى دولته(عج) هي الدولة المعصومة المرجوة والمأمولة، والتي سوف تظهر في آخر الزمان، ويقودها الإمام المعصوم المهدي المنتظر(عج).

دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

لا تنجح أية مقايسة بين جميع الدول العادلة التي حكمت الدنيا، وبين دولة الإمام المهدي(عج) لأنّها تتمتع بخصوصيات متميزة كلياً عن جميع تلك الدول التي حكمت البشرية بالقسط والعدل.

ولا أريد المقايسة بدولة النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، ولا بدولة أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين عاشا في عصر لم يعرف حقَّهما، ولم يؤدي واجب الشكر لهما.

وقد نصَّ القرآن الكريم شارحاً حقيقة المجتمع البشري الذي كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسطه، عندما قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1].

ووقعت الحقيقة يوم أغمض رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

عينيه حتىٰ انقلب القوم علىٰ أعقابهم، وتركوا آل محمد (عليهم السلام) وحدهم، وجاء في الأثر الكثير من الروايات الشريفة التي تشرح مصيبتهم ووحدتهم وانقلاب الناس عنهم، ومن جملة ذلك ما رواه الكليني في الكافي الشريف باسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: لما قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بات آل محمد (عليهم السلام) بأطول ليلة حتىٰ ظنّوا أن لا سماء تظلهم، ولا أرض تقلهم؟ لأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتر الأقربين والأبعدين في الله... الحديث[1].

وروىٰ المفيد رحمه الله في الاختصاص باسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: (ارتد الناس بعد النبي (صلّى الله عليه وآله) إلاّ ثلاثة نفر: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثمَّ أن الناس عرفوا، ولحقوا بعد[2].

وأما الناس في عصر أمير المؤمنين (عليه السلام)؛ فما أن صفّق القوم أيديهم بيديه المقدَّستين حتى انقلب الناس إلى جماعات، وفئات؛ فمنهم القاسطون، ومنهم المارقون، ومنهم دون ذلك؛ ولم يبق على عهده إلا القليل.. حتى قتل في بيت الله مسجد الكوفة في صلاته، وهو الذي كان يقول لمن يعيشون معه:

---

(١) الكافي، ج١، ص٤٤٥، باب مولد النبي (صلّى الله عليه وآله)، الحديث ١٩.
(٢) الاختصاص، المفيد، ص٦.

(..لوددت أني لم أركم ولم اعرفكم معرفة والله جرَّت ندماً، واعقبت ذماً، قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا...[1].

فلا يأخذنا الإنجرار وراء الحنين للتأريخ، وقرائته بعاطفة غير واقعية فنعطي لتلك المجتمعات هالة من القداسة، ونعصم أصحاب الخطايا من الخطايا، ونصحح مسيرة الخاطئين..فهي طريقة يرفضها العقل السليم، وتمجّها الطرق العلمية الواقعية.

وأرىٰ أفضل مثال للدولة العادلة هي التي حدثنا عنها القرآن الكريم بدولة نبي الله سليمان ابن نبي الله داود (عليهما السلام) حيث آتاهما الله تعالىٰ الحكم وفصل الخطاب.

ونجد أن العدل لم يعمّ إنسان تلك الدولة وحده، وإنما شمل المخلوقات الأخرىٰ التي عاشت فيها مثل الجنّ والحيوانات.

كما وجدنا أنَّ الإيمان بالملك النبي قد وصل إلى قلوب النمل وعقولهم، إن كان للنمل قلب أو عقل.

فيقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ

---

(١) الكافي، ج٥، ص٦؛ نهج البلاغة، ج١، ص٧٠.

﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾[1].

حكىٰ لنا القرآن الكريم جمال وروعة السعادة التي ملئت حكم نبيه الله سليمان (عليه السلام) بما وسعت مساحة كبيرة من المخلوقات؛ ولكنّها بقيت مع كل ما احتوته من اريحية وكمال مراوحة في أقها المحدود بالمكان والزمان والجماعة.

ونقصد بهذه المحدودات الثلاثة ما يلي:

الأُفق المكاني

فهي دولة محدودة بمنطقة الشام الجغرافي والمناطق القريبة منها، فلم تشمل الأمكنة والمناطق البعيدة، فضلاً عن شمولها جميع أرجاء الكرة الأرضية؛ ولذلك فإنه عندما يغيب الهدهد عن مجلس سليمان، ويأتي بعد مدة من غيابه فإنه يبرر غيابه في محكمة قضاء سليمان بأنه جاء من سبأ بنبأ يقين: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا

(١) سورة النمل، الآيات: ١٥ ـ ١٩.

شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾[1].

فإن حكومة سليمان لم تشمل اليمن، وإنما بقيت بعيدة عن سلطانه إلى أن جاءته بلقيس راغمةً مع عرشها بأمر من كان عنده علم من الكتاب.

الأُفق الزماني:

وأما الزمان فإن هذه المملكة العظيمة قد انهارت بشكل سريع بمجرد أن عرف الجان بأن سليمان قد مات. وقد كان أن وهب الله عزَّ وجل لسليمان أن لا يؤثر الموت بجسمه ومظهره، لذلك لم يلاحظ أحكد موته، وبقي الجميع يتحركون بمواقعهم التي رسمها لهم سليمان دون جرأة علىٰ تغيير وتبديل، إلىٰ أن بعث الله عزَّ وجلَّ دابة الأرض تأكل منسأته التي كان يعتمد عليها جسده الطيِّب، وعندما سقطت المنسأة وقع جسم سليمان الميت فعلم الجان بموته مما أدّىٰ إلىٰ انهيار ذلك السلطان والمملكة بموت سليمان.

ورجع سكّان الدولة إلى التنافس، والتباغض، والتنافر الذي يخرّب السعادة.

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.

أفق الجماعة

وأمّا الجماعة: فنقصد بها الجماعة من المخلوقات التي كانت تسكن في داخل مملكة سليمان أو القريبة منها؛ وتشمل كلمة الجماعة هنا الإنسان والجن والحيوانات وغيرها مما خلق الله سبحانه.

ولكنه لم تمتدّ سلطنته علىٰ الجماعات الأخرىٰ التي كانت تعيش خارج حدود مملكته كما حدَّثنا القرآن الكريم عن سبأ وسكانها، فضلاً عن الجماعات الأخرىٰ التي كانت تسكن الممالك الأُخرىٰ من الدنيا.

وإذا أردنا أن نعرف المقارنة بين الدولتين العظيمتين (دولة نبي الله سليمان (عليه السلام)، وولي الله المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف) علىٰ هذه المستويات الثلاثة فسوف نحصل علىٰ فوارق كبيرة جداً بهاب لا يجعل للمقايسة مجالاً، وإنما يمكننا أن نقول: إن خلق الله عزَّ وجلَّ لمملكة سليمان كان تمثيلاً وتشبيهاً للسعادة القصوىٰ، والكمال العظيم الذي سوف تشهده البشرية في دولة الإمام المهدي(عج) حيث تظهر جنة الدنيا الموعودة بشكل لا يمكن أن يصل إليه الانطباع البشري عن الحياة في تلك الدولة المباركة.

المستوى المكاني لدولة الإمام المهدي(عج)

فعلىٰ المستوىٰ المكاني فإن دولته عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف تشمل جميع الأرض بلا استثناء أي شبر منها كما في الخير المتواتر عند المسلمين جميعاً «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً».

بل تتعدىٰ عدالته الكرة الأرضية لتشع السعادة في الكواكب الأُخرىٰ، وتصل رحمته المخلوقات الغريبة التي تسكن الكون والتي ما زلنا لا نعرف عنها شيئاً إلا بحدود الخيال العلمي من خلال السينما والأدب المقروء والمسموع.

فقد روي عن حذيفة بن اليمان عن رسولا الله (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: «... يفرح به أهل السماء والأرض...»[1].

وروي عن سعيد الخدري عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): (... فيبعث الله عزَّ وجلَّ رجلاً من عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضىٰ عنه ساكن السماء، وساكن الأرض...)[2].

---

(١) عقد الدرر، السلمي، ص١٤٩، البرهان، للمتقي الهندي، الباب ١، ح١٦، جامع البيان، للطبري، ج١٥، ص١٧.

(٢) المستدرك، للحاكم النيسابوري، ج٤، ص٤٦٥.

وربما كان لهذا الامتداد التيثير الكوني لظهوره عجل الله تعالى فرجه الذي جعل الروايات الشريفة تربط بين الأحداث الضخمة والكبيرة التي تحدث بالكون مع تلازمها بوقت ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف.

المستوى الزماني لدولة الإمام المهدي(عج)

وعلى المستوىٰ الزماني فسوف تتعدىٰ وتتخطى دولته حدود الزمان بوحداته المختلفة؛ فهي جنة الدنيا التي تتجاوز حدود الزمن الحاضر إلى زمن المستقبل، ويظهر في دولة الإمام المهدي عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف احدىٰ مظاهر يوم القيامة في تغير الزمن المختلف عن الزمن الذي يحدّ الإنسان في الأرض ويقيّده بها قبل ظهور دولة المولىٰ عجل الله تعالىٰ فرجه الشريف.

فعندما يتحدث القرآن الكريم عن يوم القيامة فهو يعطيها حدّاً زمنياً بكلمة (اليوم) التي هي وحدات ومقاييس الزمن الذي يمرّ به الإنسان، ولكنّه يختلف عن اليوم العادي الذي نعيشه بطوله، وعرضه، ووحدته، وقوانينه.

فيقول تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1].

---

(١) سورة الحاقة، من الآية: ٤. كما ذهب إلي البعض بتفسير اليوم في هذه الآية الشريفة بيوم القيامة، وهناك رأي آخر: أن المقصود به يوم العروج الملائكي الذي ليس هو من قيامتنا وانما هو من قيامات الملائكة.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1].

روىٰ الشيخ المفيد في الارشاد عن عبد الكريم الخثعمي قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): كم يملك القائم (عليه السلام)؟

قال: سبع سنين؛ تطول له الأيّام والليالي حتىٰ تكون السنة من سنيّه مقدار عشر سنين من سنيّكم، فيكون سنّو ملكه سبعين سنة من سنيّكم هذه...)[2].

وروىٰ عن أبي بصير عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: «.. فيمكث على ذلك سبع سنين، مقدار كلّ سنة عشر سنين من سنيّكم هذه، ثمّ يفعل الله ما يشاء.

قال: قلت له: جعلت فداك، فكيف تطول السنون؟

قال: يأمر الله تعالىٰ الفلك باللبوث، وقلّة الحركة، فتطول الأيام لذلك والسنون.

قال: قلت له: إنّهم يقولون: إنّ الفلك إن تغيَّر فسد.

قال: ذلك قول الزنادقة، فأمّا المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ القمر لنبيِّه (عليه السلام)، وردّ الشمس من قبله

---

(١) سورة الحج، من الآية: ٤٧.

(٢) الارشاد، المفيد، ج٢، ص٣٨١.

ليوشع بن نون، وأخبر بطول يوم القيامة وأنه (كألف سنة مما تعدون)[1].

مستوى الجماعة لدولة الإمام المهدي(عج)

وعلىٰ مستوىٰ الجماعة فإنه(عج) سوف يغيّر مسيرة وحياة جميع المخلوقات، فيرفع العاهات والأمراض، ويغيّر عادات الحيوانات فترعىٰ الشاة والذئب، وتظهر الأرض كنوزها وخسيراتها، وتتفجر الأنهار، وتطول الأعمار حتىٰ يولد للإنسان ألف ولد، ويزداد سكان الأرض مع وفرة الخيرات، وتنتهي الحروب، وترفع البغضاء والشحناء من النفوس وتبدّل بالمحبَّة، ويبطل الصراع علىٰ الذهب والمال، لأنه سوف يكون متوفراً جداً بحيث لا تجد من يطلبه؛ وتملأ الأرض خضرة ونضرة، وينتشر الأمر والأمان، وتتجه الغرائز بالوجهة السليمة بحيث أنَّ المرأة تمشي المسافات الطويلة ولوحدها وبنضرتها، وحليِّها دون حاجة إلىٰ حماية من قريب أو حكومة.

روىٰ الفضل بن شاذان بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إذا قام القائم (صلوات الله عليه) حكم بالعدل، وارتفع في أيّامه الجور، وآمنت به السبل، وآخرجت الأرض

---

(١) الارشاد، المفيد، ج٢، ص٣٨٦.

بركاتها، وردّ كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الاسلام، ويعترفوا بالايمان.

أما سمعت الله عزَّ وجل يقول: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

وحكم بين الناس بحكم داود (عليه السلام)، وحكم محمد (صلّى الله عليه وآله)، فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته، ولا لبرّه لشمول الغنىٰ جميع المؤمنين[2].

وروىٰ بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إذا قام قائمنا أشرقت الأرض بنوره، واستغنىٰ العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمّر الرجل في ملكه حتىٰ يولد له ألف ذكر لا يولد له فيها انثىٰ[3].

وتظهر الأرض كنوزها حتىٰ يراها الناس علىٰ وجهها.

ويطلب الرجل منكم من يصله بما له، ويأخذ منه زكاته، فلا يجد أحداً يقبل ذلك منه، استغنى الناس بما رزقهم الله من فضله[4].

---

(١) كشف الحق، ص١٦٢ ـ ١٦٣، الطبعة الرابعة.

(٢) كشف الحق، ص١٦٢ ـ ١٦٣، الطبعة الرابعة.

(٣) لعلّ المقصود من العبارة: غير ما يولد له من الاناث، والله تعالى العالم.

(٤) مختصر كفاية المهتدي، ص٢٣٤.

وروىٰ بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إذا قام القائم (عليه السلام) بنىٰ في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتصلت بيوت أهل الكوفة بنهري كربلا[1].

وأما **جماعته وأنصاره** فيمتازون عن باقي الناس بميزات كثيرة لم تعهد عند أحد من انصار الذين كانوا قبله.

فمن ذلك **القوة الجسدية**:

روىٰ الفضل بن شاذان بسند صحيح عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: يعطي الله تعالىٰ لكل واحدٍ من أصحاب قائمنا قوّة أربعين رجلاً، ولا يبقىٰ مؤمن إلا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد[2].

وروىٰ الصدوق في كمال الدين باسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام)، عن أبيه، عن جدّه (عليهم السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو علىٰ المنبر:

يخرج رجل من ولدي في آخر الزمن؛ أبيض اللون، مشرب الحمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان: شامة علىٰ لون جلده، وشامة علىٰ شبه شامة النبي (صلّى الله عليه وآله).

---

(١) مختصر كفاية المهتدي، ص٢٣٥.

(٢) مختصر كفاية المهتدي، ص٢٣٣.

له إسمان: اسم يخفىٰ، واسم يعلن. فاما الذي يخفىٰ فاحمد، واما الذي يعلن فمحمد.

إذا هزّ رايته أضاء له ما بين المشرق والمغرب.

ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقىٰ مؤمن إلا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأعطاه الله تعالىٰ قوّة أربعين رجلاً، ولا يبقىٰ ميّت إلا دخلت عليه تلك الفرحة وهو في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم صلوات الله عليه[1].

وروىٰ الصدوق في كمال الدين باسناده عن ابي بصير عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: ما كان قول لوط (عليه السلام) لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[2] إلا تمنياً لقوة القائم (عليه السلام). ولا ذَكَرَ إلا شدَّة أصحابه، وأنَّ الرَّجل منهم ليعطىٰ قوة أربعين رجلاً، وإن قلبه لأشدّ من زبر الحديد.

ولو مرّوا بجبال الحديد لقلعوها، ولا يكفّون سيوفهم حتىٰ يرضىٰ الله عزَّ وجل[3].

---

(١) كمال الدين، الصدوق، ج٢، ص٦٥٣، الباب ٥٧، الحديث ١٧.
(٢) سورة هود، من الآية: ٨٠.
(٣) كمال الدين، الصدوق، ج٢، ص٦٧٣، الباب ٥٨، الحديث ٢٦.

ومن ميزات أصحابه (عليه السلام): أنّهم مقدّسون، وتطيعهم جميع المخلوقات.

روىٰ الصدوق في كمال الدين باسناده عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

كأنّي بأصحاب القائم (عليه السلام)، وقد أحاطوا بما بين الخافقين، فليس من شيء إلاّ وهو مطيع لهم حتىٰ سباع الأرض، وسباع الطير، يُطْلَبُ رضاهم في كل شيء، حتىٰ تفخر الأرض على الأرض وتقول: مرَّ بي اليوم رجل من أصحاب القائم (عليه السلام).

ومن ميزات أصحابه (عليه السلام) أنّ معه أموات أحياهم الله عزَّ وجلّ يقاتلون معه.

روىٰ الشيخ الفضل بن شاذان بسند صحيح عال جداً عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال:

إن القائم يُنادىٰ باسمه ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان، ويقوم يوم عاشوراء؛ فلا يبقىٰ راقد إلاَّ قام، ولا قائم إلاَّ قعد، ولا قاعد إلا قام علىٰ رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل (عليه السلام).

ويقال للمؤمن في قبره: يا هذا! قد ظهر صاحبك، فإن تشأ أن تلحق به فالحق؛ وإن تشأ أن تقيم فأقم[1].

وروىٰ الشيخ المفيد في الارشاد عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

يُخْرِجُ القائم (عليه السلام) من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسىٰ (عليه السلام) الذين كانوا يهدون بالحق، وبه يعدلون.

وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر.

فيكونوا بين يديه أنصاراً وحكاماً[2].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في علامات ظهوره(عج):

(.. وأموات ينشرون من القبور حتىٰ يرجعون إلى الدنيا فيتعارفون فيها، ويتزاورون.

ثم يختم ذلك باربع وعشرين مطرة تتصل؛ فتحيىٰ الأرض من بعد موتها، وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كل عاهة عن معتقدي الحق من شيعة المهدي (عليه السلام)[3].

---

(١) مختصر كفاية المهتدي، ص٢٢٧.
(٢) الإرشاد، المفيد، ج٢، ص٣٨٦.
(٣) الارشاد، المفيد، ج٢، ص٣٧٠.

وروىٰ الشيخ المفيد عن عبد الكريم الخثعمي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «.. وإذا آن قيامه مطر الناس جمادىٰ الآخرة وعشرة أيام من رجل مطراً لم ير الخلائق مثله، فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهمِّي أنظر إليهم مقبلين من قِبَلِ جهينة ينفضون شعورهم من التراب[1].

(١) الارشاد، المفيد، ج٢، ص٣٨١.

الندوة الأولى

(كلية التربية للبنات/ النجف الأشرف)

حركة الإمام المهدي (عليه السلام)

والحتمية الإلهية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، الكوكب الطاهر والبدر الزاهر، والمصطفى الأمجد أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين، ومنكري فضائلهم من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

اللَّهُمَّ ربنا وفقنا وجميع المشتغلين واجعله خالصاً لوجهك الكريم، إنك أرحم الراحمين.

الحتمية الإلهية:

عندما يريد الإنسان أن يتحدّث عن العقيدة المهدوية ربما يقع أمام نظر الباحث موضع علاقة حركة الإمام المهدي (عليه السلام) بالحتمية الإلهية.

ونقصد باصطلاح (الحتمية الإلهية) البحث عن حلقة التغيير والتكوين الاجتماعي في المجتمع الإنساني، كما يمكن أن يعبر عنه في حلقات فلسفة التأريخ.

ففي الإيديولوجية الماركسية وحينما يتحدّثون عن تطور المجتمعات الإنسانية تحت عنوان قانون الحتمية الديالكتيكية التاريخية فهم يتعرضون إلى نقطة مهمة في عملية تطور المجتمع من دور إلى دور حتّى يصلوا بالمجتمع الإنساني في تطوره وارتقائه إلى مرحلة الحتمية التاريخية، والتي يتحقق بها المجتمع الشيوعي في نهاية المطاف.

وإننا عندما نقرأ المفهوم الإسلامي للعالم وفلسفة التأريخ نجد أن الإسلام عنده (الحتمية الإلهية) ضمن رؤيته العقائدية التي يفسر بها عملية التغيير الحضاري والتطور الاجتماعي في مجتمعات الإنسان.

وبما إنني لم أقصد من هذا البحث الحديث عن تلك القوانين الاجتماعية المؤثرة في تكوين نوعية الطبقة الاجتماعية وتسلسل تلك الطبقات، وإنما أتحدّث عن حلقة واحدة بشكل إيجازي ـ بما يقتضيه ويتحمله الوقت الضيق ـ عن دور حركة الإمام المهدي (عليه السلام) فيلزمنا البحث عن ملامح هذه الحتمية ودور هذه الحركة في تحقيق المستقبل الواعد لتاريخ البشرية.

ملامح الحركة المهدوية:

لو قرأنا كلَّ ما كُتِبَ عن الإمام المهدي (عليه السلام) سواء

في الفكر الإمامي، أو الفكر الإسلامي غير الإمامي بل وحتّى الفكر غير الإسلامي، فإنّ أوضح ما يمكن أن يتحدّثوا عنه هو التغيير الذي سوف يحدث بسبب حركة الإمام (عليه السلام)، هذا أوّلاً.

والشيء الثاني من تلك الحركة، هو أن تكون تلك الحركة خاتمة الحركات التغييرية في الأمم والمجتمعات الإنسانية، بما يمكننا أن نقول: إن الحلقة الأخيرة في الحركة التغييرية التاريخية لتطور المجتمع الإنساني ككل سوف تنتهي بحلقة ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)، وتبعاً لهذه الحقيقة يتضح أنّ حركة الإمام غير مسبوقة ـ لا كمّاً ولا نوعاً ـ بحركة تغييرية أخرى، وهو المُعبَّر عنه دينياً بالنص النبوي المأثور والمجمع عليه في الفكر الإسلامي عموماً سواء الشيعي أو السنّي بما رووا عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إنه يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً[1].

وموضوع كيفية وتحديد نوع امتلاء الأرض بالعدل الإلهي إضافة إلى موضع شرح وتوضيح نوع امتلاء الأرض قبل ظهوره (عليه السلام) بالظلم والجور الإنساني الذي يفعله الإنسان

---

(١) راجع سنن أبي داود ٢: ٣٠٩/ح٤٢٨٢؛ المستدرك للحاكم ٤: ٤٦٥؛ مسند أحمد ٣: ٢٧؛ كمال الدين للصدوق: ٢٥٦/ باب ٢٤/ ح١ و٢.

الخاطىء، (سواء الخاطىء عن عمد أو الخاطىء عن غير عمد) يحتاج إلى بحث لسنا الآن بصدد الحديث عنه، لأن هذا موضوع في الواقع بكر ويلزم أن يتطرق إليه بتفاصيله، ويحتاج إلى وقت مفصل للحديث عنه.

تكامل الأدوار:

أما الذي أردت أن أبيّنه في هذه اللحظات والدقائق هو أن هذه النقاط التي تحدّثت عنها تخصّ نوعية هذه الحركة الختامية لمجتمع الإنسان.

يعتمد الإنسان الذي يريد أن يدرس حركة الإمام المهدي (عليه السلام)، على توضيح وفهم مركّز لكيفية ظهور هذه الحركة، ومدى أممية هذه الحركة، وسعة حركة الإمام (عليه السلام).

والشيء الذي يمكننا أن نتحدّث عنه باختصار هو أن التأريخ الإنساني بحلقاته المتقدمة سوف يصل إلى مستوى يؤهل الإنسان النوع ـ ولا أقصد الإنسان الفرد ـ ليكون أهلاً ومستحقاً ليحكمه العدل المهدوي.

وبتعبير آخر يعطيك جواباً عن سؤال يقول: لماذا لم يظهر الإمام المهدي في عصر النبي (صلّى الله عليه وآله)، ولماذا لم

يكن النبي (صلّى الله عليه وآله) هو المهدي؟ وهناك سؤال آخر يطرح نفسه شبيه بالسؤال الأوّل بما يتلاءم مع عقائد الشيعة الإمامية وهو: لماذا لم يكن الإمام عليّ وهو سيد الأئمّة وأبو الأئمّة وخير الأئمّة سلام الله عليهم جميعاً، لماذا لم يكن هو الإمام المهدي؟

وهكذا لو أردنا أن نجري السؤال على كل إمام من الأئمّة المعصومين (عليهم السلام).

الواقع أن كل واحد منهم (سلام الله عليه) له دور تأريخي في تطوير حياة الإنسان، وفي تأهيل المجتمع الإنساني لكي يدخل دوره الخاص الذي يوصله إليه الإمام المتقدم.

وبتعبير أوضح أنه دور النبي (صلّى الله عليه وآله) دوره الإلهي في إيصال البشرية إلى مستوى معين ومحدد.

وقلت إن هذا الموضوع مهم ومفصل وأني لا أقصد من هذا الحديث دراسة فلسفة التأريخ برؤية دينية إسلاميّة، ولذلك فأنا أشير إشارات عامة إليه فقط من أجل أن أصل إلى النتيجة التي أتحدّث عنها.

إذن كان للنبي (صلّى الله عليه وآله) دوره الرباني الخاص به وهو تأهيل البشرية لمستوى يمكن أن تتحمل ولاية عليّ بن أبي

طالب، ثمّ كان لأمير المؤمنين (عليه السلام) دوره الذي سلمه للإمام الحسن، وهكذا الأئمّة من بعده، مع التنبيه إلى أن تشخيص هذه الأدوار يحتاج إلى بحث مستقل.

ولكن هنا كدور قد اشترك فيه النبي (صلّى الله عليه وآله) والأمير والأئمّة الباقون في تأهيل البشرية لتكون مستحقة لتولي الإمام المهدي الدور الكبير الذي هو جامع لجميع أدوار الإمامة، يعني أن من مهمات النبي (صلّى الله عليه وآله) ومهمات الأئمّة الباقين ـ فضلاً وإضافة إلى مهماتهم الخاصة الأخرى التي نبهنا عنها ـ دوراً آخر في المجتمع هو من أجل أن يتقبلوا مشاريع التغيير العظيمة التاريخية حينما يصلوا إلى المستوى الذي يؤهلهم لذلك، بل أن يصلوا إلى مستوى تحقيق الطرح الميداني لإمامة الإمام المهدي (عليه السلام).

أي أنه لو لم يكن الأئمّة السابقون يقومون بهذا الدور لما كانت البشرية مؤهّلة لاستقبال دورها في ظل إمامة الإمام المهدي (عليه السلام).

على كل حال، فالإمامة بالنسبة للإمام المهدي لم تكن منحصرة بالظهور، وإنما دوره في الظهور وقبل الظهور، والذي أخذ أبعاده (عليه السلام) من يوم ولادته إلى الغيبتين الصغرى والكبرى، ولذلك نجد كل هذه الخصوصيات المتعلقة في هذه

المرحلة من تأريخ الإنسانية هذه قد وردت على لسان النبي (صلّى الله عليه وآله) وعلى لسان الأنبياء الذين سبقوا النبي (صلّى الله عليه وآله)، حتّى أننا نجد ذكر المهدي (عليه السلام) بالكناية أو بالأسماء التي ذكرت بالكتب السماوية، فإننا لو قرأنا بإمعان وتدبر فسوف نجد تلك الأسماء موجودة في كتب السماء في التوراة والإنجيل.

وقد ألفت كتب خاصة في ذكر الآيات الإنجيلية والآيات التوراتية التي ذكرت الإمام المهدي (عليه السلام).

أي أن هذا الدور لم يبتدىء بالنبي، وإنما كان هذا الدور قد قام به الأنبياء من قبل أيضاً.

فإن جميع الرسالات السماوية قد اهتمت بتربية البشرية من أجل ارتقائها للمستوى الذي تتقبل به العقيدة المهدوية أوّلاً، والحركة المهدوية التي تتعمق وتترسخ عندما يظهر (عليه السلام)، ومعنى هذا أن لدينا مرحلتان؛ مرحلة العقيدة، ومرحلة إجراء العقيدة في الواقع، وتنفيذ تلك العقيدة على أرض الواقع حالياً، وتنفيذها عندما يظه (عليه السلام) فيتم بذلك (أن يملأ الأرض قسطاً وعدلاً).

وتتم الخاتمة في حركات الطبقات الاجتماعية لرؤية دينية سواء كانت إسلاميّة أو غير إسلاميّة.

مراحل تأهيل المجتمع:

نلاحظ أيضاً، بعدما وضحنا هذه الحقيقة أن حركة الإمام (عليه السلام) هي الحلقة الأخيرة لنهضة المجتمع الإنساني وتطوره، فنقول حينئذٍ لا بدّ من تأهيل الإنسانية للحلقة الأخيرة من تطورها. فهناك تصور واضح أن المجتمع الذي يظهر فيه الإمام يختلف عن المجتمعات السابقة عليه. فالمجتمع الذي يظهر فيه الإمام، (ولا أقصد المجتمع الذي يصنعه الإمام، عندنا مجتمع يسبق الإمام، وعندنا مجتمع ينهض فيه الإمام، وعندنا مجتمع يصنعه الإمام (عليه السلام)).

فالمجتمع الذي يكون قبل ظهور الإمام هو المجتمع الأوّل، وهو ممتد بعصر الإنسانية إلى مستوى أن تظهر علامات ظهوره (عليه السلام).

وبتعبير آخر: نريد أن ندرس علامات الظهور دراسة أكاديمية واضحة، تحدد الفلسفة الواقعية لحركة الإمام.

إن الإنسانية قبل الظهور تكون بمستوى غير مؤهل لاستقبال حركة الإمام، ولذلك لم يظهر الإمام، ولذلك لم يكن الإمام هو

النبي، ولم يكن هو الأمير، ولم يكن الإمام (عليه السلام) هو أحد آبائه (عليه السلام)، لأن البشرية غير مؤهلة لهذه النهضة، ولكن الأئمّة (عليهم السلام) قد سعوا لإيجاد هذا المجتمع الذي يكون مؤهلاً ليظهر فيه الإمام، فعندما يتكامل المجتمع الإسلامي في أطواره الارتقائية في الغيبة الصغرى وما بعدها، فإذا تكامل هذا المجتمع في الغيبة الكبرى فحينئذٍ تبدأ المرحلة الثانية، وهي مرحلة الظهور.

ففي مرحلة الظهور يكون المجتمع الإنساني عموماً مؤهلاً بشيئين، وببعدين، وبعنصرين يملكان ويحكمان المجتمع:

العنصر الأوّل: هو العنصر المخطىء، الذي يعبر عنه بالظلم والجور، حيث تمتلىء الأرض ظلماً وجوراً.

والعنصر الثاني: الذي نقرأه في الروايات أن الإمام المهدي لا يظهر إلاّ بعد أن تتكامل له قواعده التي يتحرك بها في نهضته وحركته.

وقد يتصور البعض أن القواعد محدودة بعددٍ معين، باعتبار أن لدينا روايات وبعضها معتبرة من حيث سند الحديث الروائي، وبعضها يسند تلك الروايات بنوع من الإسناد وتقول جميعها أن عدد الذين ينتظرون ظهوره (عليه السلام) (٣١٣) كعدد أهل بدر.

وهؤلاء الـ(٣١٣) يعبر عنهم بأسمائهم في بعض الروايات الموجودة في كتاب بشارة الإسلام، ومختصر كفاية المهتدي وغيرهما بأسمائهم وأوطانهم.

وأنا لديّ ملاحظات على هذا الأمر من كون تلك الأسماء هل هي رمزية أم هي واقعية تعبر عن أشخاصهم؟ وكذلك المدن هل هي تعبر عن بُعْد رمزي للمناطق التي يظهر هؤلاء بها، أم هي تعبر عن أسماء موجودة في الواقع وموصوفة ومشخصة؟ هذا الموضوع بنفسه يحتاج إلى وقت.

وهل المنتظرون له فقط (٣١٣) أم هم أكثر بكثير وإنما هؤلاء هم قادة المجتمع الإيماني الذي يظهر قبل الإمام.

أي أنه كما نقرأ في الروايات فإن الوجود الإنساني الاجتماعي سوف يمتلىء بالظلم والجور، فإنه سوف يكون هناك مساحات واسعة من الإيمان والإنسان المؤمن، ويفترض في هذه المساحات أن توجد بدون تحديد عددي فإن الروايات لم تحدّد سعة هذه المساحة، وإنما ذكرت وجود هذه المساحة التي يقوم فيها الإمام بالتغيير.

وطبعاً فإن عندنا شواهد وروايات كثيرة تنص على هذه الحقيقة، وبعضها كانت قد طبق في زمان الأئمّة (عليه السلام)

مثل الروايات المروية عن الإمام الصادق (عليه السلام) والتي تقول: إن الإمام لا يظهر إلاّ في مجتمع خاص يكون مؤهّلاً لحكومة الإمام، ولقيادة الإمام[1].

إذا توفّر هذان العنصران: (العنصر الأوّل القادة، والعنصر الثاني القاعدة التي تحكمها تلك القيادة) فمعناه أنه قد تكوّن مجتمع ما قبل الظهور، ولكيفية تحقق ذلك، وكيف نعرف أنه قد تحقق العنصران المرتقبان المنتظران؟ فإننا نعرف ذلك من خلال تحقق علامات ذكرها الأئمّة (عليهم السلام) وأن هذه العلامات تدل على ذلك المجتمع الذي سوف يكون على يديه التغيير الإلهي والحتميّة الإلهية.

منبع التغيير:

من الطبيعي في هذه المرحلة عندما نتحدّث عن عملية التغيير لا بدّ أن نتذكر دور الإنسان في التغيير، وهنا بحث سياسي واجتماعي وفقهي على مستوى ثقافي واسع، في أنّ الأهمية في التغيير هل تعود إلى الأمّة؟ أم أن الأهمية تعود إلى القائد؟ يعني

---

(١) بعكس بعض الروايات التي تحدّثت عن السيوف المشرعة في زمان الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال: «ما أنت من رجالي ولا الزمان زماني» مثل رواية الخراساني والخلال... وغيرها. راجع: الملل والنحل/ الشهرستاني ١: ١٥٤؛ ينابيع المودة/ القندوزي ٣: ١٦١.

من هو الذي يغير؟ هل أن الإمام أو القائد هو الذي يغيّر الأمّة، أم أن الأمّة هي التي تغيّر القائد؟

يعني علينا أن نكثف جهودنا على أي الاثنين؟ لإيجاد أي واحد من الاثنين؟ هل نكثف الجهد في إيجاد الإنسان القائد؟ أم نكثف الجهد في إيجاد الأمّة القائدة؟ هذا الموضوع موضوع مهم جدّاً سواء على المستوى الفكري أو المستوى الميداني والعملي.

فإذا قلنا ـ نحن كأناس نعيش في الأمة وكمكلفين ـ إن الذي يقود التغيير الإمام، إذن فما هو دور الأمّة؟ وما هو دور الفرد في الأمّة؟ وأما إذا قلنا أن المغير هو الأمّة، فسوف يكون تحركنا تحركاً آخر في التغيير من إيجاد الأمّة القادرة على التغيير.

هذا الموضوع من الأهمية بمكان، لا أريد أن أشخص كل أبعاد هذا الموضوع أيضاً، وإنما قد عنونت من قبل هذه الحقيقة، وقد أوفق في أيام أخرى أو أنتم تبحثون وراء هذه العناوين بالتفتيش عن معرفة الحقائق المغيرة.

هذا الطرح والاستفهام له واقع أيضاً، وليس هو على مستوى النظريّة فقط، الأمّة الإسلاميّة أمّة مكلفة، والإمام هو المغير، ولكن الإمام قبل الظهور وفي عصر الغيبة والإمام في عصر المعصوم، هو غير الإمام بعد الظهور.

وهذا موضوع مهم جدّاً ويحتاج إلى وقت مفصّل لأجل توضيح جميع خصوصيّاته، لا أخالني أملك الوقت الكافي لأتعرض لكل أبعاد هذه النظريّة، وإنما أشير إليها إشارة لأجل إعطاء البُنى الأساسية لنظرية حتميّة ظهور الإمام (عليه السلام) يتكامل الإنسان من أجل أن يأخذ الإنسان موقعه الأصلي في الحياة، فيتم قوله تعالى ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

يعني أن الإنسان الخليفة إذا أراد أن يجسد الحقيقة الغائية للخلقة في الأرض، فإنما يتم له ذلك عندما تتم الغاية القصوى لظهور المجتمع المؤهل لاستلام قيادة الإمام (عليه السلام).

عصر الظهور:

إن هذا العصر الذي نتحدّث عنه هو عصر أو مرحلة الظهور، وقد ذكرت له علامات تحدّثت عن هذه المرحلة، ثمّ تبعد ذلك وعندما تنتهي هذه المرحلة التي نعيش ـ ولله الحمد ـ أبعادها في عصورنا المتأخرة، وهي مرحلة علامات الظهور أو مرحلة بداية الظهور إنما هي مرحلة مهمّة، أمّا متى تبتدىء وإلى أين تنتهي فهذه تحتاج أيضاً إلى وقفة، لنعرف هل هي بالفعل بدأت، فمتى بدأت؟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

بعضهم ممن كتب عن الإمام يعتبر أنَ هذه المرحلة بدأت منذ العبّاسيين مع ظهور الحركة العباسيّة ضد الأمويين، والبعض الآخر يعتبر أنّ هذه الحركة بدأت في عصور متأخرّة، كالعلامة المجلسي التي يعدّها بظهور الدولة الصفوية في إيران[1]. ولست الآن بصدد تشخيص بداية المرحلة فإنني قلت: إنّها تحتاج إلى أرقام تخصصيّة وتحتاج إلى تفاصيل كاملة من أجل أن نضع النقاط على الحروف، ولكني أقول بضرس قاطع إنّها سوف تنتهي بظهور الإمام (عليه السلام)، وأقول أيضاً بضرس قاطع إنّنا نعيش هذه المرحلة وفي وسط هذه المرحلة، ونحن الآن نعيش مرحلة التمهيد وتأهيل المجتمع لظهور الإمام (عليه السلام).

طبعاً لست الآن بصدد تحديد الوظيفة الشرعية لكل من حضر، أو أريد أن أحدّد الوظيفة الشرعية للمكلّف المسلم في هذه المرحلة، وإنّما يعتمد في ذلك على ما كتبه كثير من علمائنا في تحديد الوظيفة، هناك كتاب اسمه (وظيفة الأنام في غيبة الإمام) للسيد التقي الموسوي.

عصر التكامل:

المرحلة الأخرى، وهي المرحلة العظمى في تأريخ

---

(١) البحار للمجلسي ٥٢: ٢٤٣.

الإنسانية، وهي الحتميّة أو نهاية الحتميّة، أو نهاية البداية لتطوّر الإنسانية، فإنها سوف تتم وتتكامل بظهور الإمام (عليه السلام)، وعلينا أن نلاحظ المجتمع الذي يقوده الإمام والذي يصنعه الإمام فإنه سوف يكون غير المجتمع الذي نحن فيه، فهناك عدّة جوانب بارزة في مجتمع الإمام، مثل التغيّر الكوني، وليس التغيّر الإنساني فقط الذي يحدث في مجتمع الإمام، بل إن بعض هذا التغيير يصنعه الإمام، والبعض الآخر تصنعه ملائكة الله، أو التكوين الإلهي.

أنا أذكر النقاط التالية بشكل مجمل، وهي تبيّن كيف أنّ الإمام في نهاية المطاف التاريخي لمسيرة الإنسان التكاملية يغير كينونة الإنسان:

أوّلاً: إن الإنسان كإنسان، وكنوع ـ سواء أكان مسلماً أم غير مسلم ـ سوف يصل في دولة الإمام المهدي (عليه السلام) إلى مستوى تتشخّص وتتميز فيه قوى الخير من قوى الشر، ولا يبقى في الأرض إنسان وسط، بل يكون الإنسان إما إنساناً خيّراً مطلقاً، وإما إنساناً شريراً مطلقاً.

هذا الحد لم يكن متوفراً قبل هذه المرحلة، فلم تكن البشرية قد وصلت إلى هذه المرحلة من الحدّية بين الخير والشر قبل مرحلة ظهور الإمام (عليه السلام)، وإنما سوف تصل البشرية إلى

هذه الحدّية عندما تؤهل فتدخل آخر مرحلة من مراحل تغيير الإنسان للمجتمع الإنساني في ظهور الإمام (عليه السلام).

ولذلك فسوف تتغير قوانين التحكّم، سواء أكانت تشريعية أم تنفيذية، حتّى أنها ستشمل بعض التشريعات السماويّة ويتغير وينقلب كثير من الموازين إلى ألوان أخرى، وبعض تلك التغييرات يشخصها الإمام (عليه السلام) نفسه ويتحرك بها الإمام بشخصه المقدس (عليه السلام).

وأعطيك مثالاً لما يفعله الإمام، سواء فسّرناه على نحو الإعجاز أو فسرناه بأحد التفسيرات المعيّنة، تلك هي الروايات المتعددة في تغيير أصحاب الإمام، فقد جاء في إحدى تلك الروايات المرويّة عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «إذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم»[1] ويستخدم لغوياً (كمال الحلم) بمعنى العقل أيضاً، وهذا الكمال هو الكمال العقلي الذي سيصل إليه العباد وهم أفراد المجتمع الإنساني. هل كانت الرواية ترمز إلى أنّ تلك الحركة من يد الإمام (عليه السلام) يقصد بها يده الظاهرية المقدّسة؟ أم أن المقصود من يده مؤدى المجاز وجاء اللفظ على التعبير المجازي؟ فاليد مجازاً تعني القوة والسطوة التي يستخدمها

---

(١) الكافي للكليني ١: ٢٥/ ٢١/ كتاب العقل والجهل.

الإمام، ومعنى هذا أن القوّة هي التي تكون السبب المركزي لكمال العقول، وتكامل العقل الإنساني.

نحن الآن مبهورون بما وصلت إليه الإنسانية من التكنلوجيا والتطوّر الذي نشاهده، لكن الانبهار الأعظم يكون عند ظهور الإمام (عليه السلام) فسوف يتكامل العقل الإنساني، ويتحقق هذا التكامل في كل أبعاده النظرية، أو أبعاده العملية بما يعبر عنه بالعقل النظري والعقل العملي، ويعني هذا أن طريقة الإدارك البشري سوف تتكامل في عصره.

كما أنه سوف تتكامل الوسائل الممهّدة للعقل الإنساني التي من جملتها التطور التكنلوجي الذي يكون في عصره، وهكذا فسنجد في زمانه (عليه السلام) أن كل واحد من أصحابه يكلم مَنْ في المشرق من هو في المغرب، ويكلم مَنْ في المغرب مَنْ هو في المشرق، ربما كان تصور هذا التقدم التكنلوجي سابقاً في زمان الأئمّة (عليه السلام) يعدّ نوعاً من أنواع الإعجاز، ولكنّه حالياً صار من الأمور العادية والبديهية ببركة التقدم التكنلوجي.

وهذا التطور الذي يحدث في عصر الإمام يخاف منه الغرب، وتوجد حالياً دراسات غربية ـ قرأت عنها منذ عدة سنوات ـ تتحدّث عن التطوّر التكنلوجي في عصر الإمام (عليه السلام)، وكيف يخافون من هذا التطور الذي يرهب التطور الغربي،

فالغرب يحسب حساباً لهذا التطور التكنلوجي المهدوي الذي سوف يكون في زمان الإمام (عليه السلام).

وهناك الروايات الأخرى التي تحدّثت عن تغيّر في قوى الإنسان، ومن جملة هذه التغيرات التي تحدث في الإنسان المهدوي أنه (عليه السلام) إذا ظهر مسح بيده على رؤوس العباد فلا يبقى مئمن إلاّ صار قلبه أشدّ من زبر الحديد، وأعطاه الله قوّة أربعين رجلاً[1].

كما تعرفون أن هذا العدد ـ وهو ثلاثون وأربعون وسبعون ـ يستخدم للمبالغة وللكثرة، يعني تصل قوّة الرجل إلى ما لا نهاية من القوى البدنية والجسمية، والله أعلم بالتغير الفسلجي الذي سوف يحدث في إنسان عصر الإمام المهدي (عليه السلام).

هذا التكامل للإنسان ليس على مستوى الإدراك والعقل فقط، وإنّما يشمل التكامل الجسماني أيضاً في القوى الأخرى التي يتمتع بها. ثمّ إن هناك تغيراً وتكاملاً كونياً في القوى التي تحكم هذه الدنيا فإنها سوف تغير الدنيا، وتبدل الدنيا، ويكتفى بنور الإمام عن ضوء الشمس والقمر[2].

---

(١) كمال الدين: ٦٥٣/ح١٧، و٦٧٣/ ح٢٦؛ دلائل الإمامة: ٤٥٧/ ح٤١.

(٢) تفسير القمي ٢: ٢٥٣، عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ قال: «رب الأرض يعني إمام الأرض»، فقلت: فإذا خرج يكون ماذا؟ قال: «إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الإمام».

وعندما يتحدّث علماء الفلك حالياً ويضعون مدّة سنويّة تخمد الشمس أضواءها وتنطفىء الشمس، فإننا نحس بأهمية هذه المرحلة من تأريخ البشرية.

ولكن هل بانطفاء الشمس تنتهي الحياة في الأرض؟ كما قد يقال حالياً ولذلك فهم يريدون أن يسبقوا التغير الكوني لما يحتملونه من وجود حياة سابقاً في المريخ انتهت لمثل هذه الأسباب؟

أم أن هناك حياة ما بعد انطفاء الشمس التي يقرها علماء الفلك حالياً إلى مرحلة الله أعلم كم مداها؟ وقد تحدث عن هذه المرحلة الإسلام العظيم بتشخيصه التطور، أو التغير الكوني في عصر الإمام (عليه السلام).

ولا أطيل البحث، وإنما أنا أشرت إلى هذا الموضوع إشارات فقط، وإن هذا الإشارات تدعوني وتدعوكم إلى دراسة هذه المرحلة الخطيرة في حركة الإمام التي لا تعبر عن نهاية البشرية، وإنّما تعبّر عن غاية الكمال الكوني، والكمال الإنساني والذي يتم ويتحقق في آخر مرحلة من مراحل التطور الإنسانيفي حركة الإمام المهدي والمعبر عنه بالحتمية الإلهية.

أنا أضع هذا الموضوع في هذا الإطار وبهذا المقدار، لأجل أن نرسم لتلك الفراغات آفاقاً أخرى غير التي شملناها في الحديث في هذه الدقائق، وأسأل الله التوفيق لكم ولنا.

الأسئلة والأجوبة

السؤال الأوّل:

سيدي تحدّثتم عن تأهيل النفس الإنسانية، ووردت آيات قرآنية كثيرة في مسألة الصراع بين الشر والخير، وقد ذكرت أنّ أصحاب الخير هم قلة، فهذه النفس الإنسانية، هل هي محصورة بالمؤمنين أم تشمل غير المسلمين؟

الجواب:

بطبيعة الحال أنّ الإنسان له موقفان: الموقف الفردي، والموقف الاجتماعي يتميز أحدهما عن الآخر.

وقد تحدّثنا عن الجانب الاجتماعي كمجتمع، لأننا حينما نحلل في علم النفس فتارة نتحدّث عن الإنسان الفرد، ومرة نحلل الإنسان ولكن بطريقة علم الاجتماع، أي الإنسان المجتمع.

الجانب الذي تحدّثت فيه إنّما كان عن الجانب الاجتماعي في حركة الإمام المهدي (عليه السلام)، وليس معنى ذلك غض

النظر والطرف عن الجانب الفردي، لأن هناك ترابطاً بين الفرد وبين المجتمع.

يعني أنه يمكن أن يفصل الواحد عن الآخر، ولكن كما أن هناك مؤثرات شخصانيّة للإنسان فهناك مؤثّرات اجتماعية في الإنسان أقوى وأكبر من إرادة الإنسانالتي في بعض نظريات علم الاجتماع يعبر عنها بالحتمية الاجتماعية أو الجبر الاجتماعي.

أي أن هناك جبراً فردياً، وهناك جبراً اجتماعياً، لستس أريد حالياً أنس يحدّد وأشخص هاتين النظريتين وهل هما صحيحتان أم لا، وإنما استشهد بهما لأوضح الظروف التي أتحدّث عنها، وهو أن الإنسان الفرد يحتاج إلى موقف تفصيلي، وقد تحدّثت في هذه المحاضرة عن الإنسان المجتمع فقط.

أمّا الإنسان الفرد في عصر الظهور، وعصر ما قبل الظهور فله دور كبير في إيجاد هذه الحالة الاجتماعية، لك لم يكن هو الدور الأوّل والآخر، وإنّما يبقى الإنسان بدوره الفرداني والشخصاني يؤثر فيه الخير والشر، ولكنَّ هناك أبعاد اجتماعية تتحكم في عمليّة التغيير الاجتماعي في تطور المجتمع الإنساني.

فكما تحدّثت عن ذلك الجانب، يبقى الحديث كما هو معروف أن الإنسان في خير وفيه شر ولكن التطور الاجتماعي

يوصل الإنسان قبل مرحلة الظهور إلى منطقة المائز والحد الفاصل بين الخير والشر.

السؤال الثاني:

قلتم سماحتكم ما معناه أن الإمام أو المصلح النهائي لم يكن النبي (صلّى الله عليه وآله) ولم يكن أحداً من الأئمّة الأحد عشر قبل الإمام لأن المجتمع غير مؤهل لذلك.

أقول: وذلك لأنّه لم يميز بين الخبيث والطيب. وبما أننا نشهد الآن سقوط قانون وضعي بعد آخر لكونه غير صالح لكل الأزمان، حتّى تصبح البشرية مدركة أنه لا يكون صلاحاً إلاّ بدين الله، ودين الله الصيحي ومن منابعه الأصلية، وهذا هو التمييز بين الخبيث والطيب.

الجواب:

إن هناك سؤال أثاره البعض لطول عمر الإمام (عليه السلام) وبيّن هذا السؤال أنه ربّما يقال أن أحد أسباب طول عمر الإمام لزيادة خبرة الإمام، في الواقع نحن الإماميّة نعتبر هذا الجواب خاطئاف، لأننا نعتبر أن الإمام المعصوم (عليه السلام) علمه لدنّي ولا تؤثّر عليه الظروف الاجتماعية لتطوّر علومه (عليه السلام)، وإنّما العكس هو الصحيح أن الخبرات الاجتماعية كلما

تكثّفت، كلما سبّبت تكامل البشرية، فتكون البشرية مؤهّلة لاستقبال الحركة المحددة للتغيير التام ـ من قبل ومن بعد ـ فهذه الخبرات التي أشار إليها الكاتب إنما عبرت عنها بالتطوّر

السؤال الثالث:

هل هناك رواية تقول أنه لا يكون أمركم ـ أي ظهور الأمام المهدي (عليه السلام) ـ حتّى يأتي الله بقوم لا تضرهم الفتنة[1]، فهل هؤلاء القوم المقصود بهم الأمّة أم أصحاب الحجّة (عليه السلام)؟

الجواب:

عندما نتكلّم عن الأمّة ونتكلّم عن أصحاب الإمام لا نعتبر أصحاب الإمام شيئاً مجرداً عن الأمّة، وإنّما قلنا: إنّ الأمّة أو المجتمع الإيماني، وبطبيعة الحال يكون الإصحاب هم قادة هذا المجتمع الإيماني، ويكون هذا المجتمع مؤهّلاً لقيادة الإمام، ففي الواقع أنّه لا تمييز بين القادة والمجتمع لأنّه سوف يكون هؤلاء هم قادة المجمع.

---

(١) عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة قال: «... لا يبقى منكم إلاّ عصابة لا تضرها الفتنة شيئاً». راجع كتاب الغيبة للنعماني: ٢١٠/ ح١٧.

السؤال الرابع:

هنا مجموعة من الأسئلة ذات محور واحد، نعرضها على سماحة السيد:

(الأوّل): ما هي الواجبات الملقاة على عاتقنا، وما هو دورنا كنساء وموظفات ومعلّمات؟ وكيف نتهيأ في هذا الزمان لظهور الإمام (عليه السلام)؟

(الثاني): ما هو دور المرأة المؤمنة في عصر الظهور؟

(الثالث): هل هناك من النساء مع الإمام المهدي (عليه السلام)؟

(الرابع): ماذا على المكلف أن يقوم به لتعجيل فرجه (عليه السلام)؟

(الخامس): كيف تتهيأ المرأة لعصرالظهور؟

(السادس): هل تستطيع المرأة في زمن الظهور اللقاء معه (عليه السلام)؟

(السابع): هل صحيح أنّ الإمام المهدي (عليه السلام) يقتل على يد امرأة وما هي مواصفاتها واسمها وأين تظهر؟

الجواب:

مجموع الأسئلة تتحدّث بشكل عام عن دور المرأة قبل الظهور وبعد الظهور، والإسلام يرى أنّ المرأة قد وجّه إليها

التكليف بمقدار ما وجّه إلى الرجل، فعندما يقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] فإن الكل يعلم أنّ الله خلق اثنين ـ لم يخلق واحداً ـ خلق آدم وحوّاء، وكان التكامل الإنساني بين الطرفين، ولكن الخطاب عندما يوجّه إلى آدم، فهو من خطاب التغليب وهو ـ كما تعلمون ـ يوجّه إلى طرف مع أنه يقصد الطرفين.

وأمّا سبب التغليب الذي صار في هذه المحادثات الربانيّة، فهو لشدّة العلاقة بين حوّاء المرأة وبين آدم الرجل حتّى صارا شيئاً واحداً في الخطاب، فلو قرأنا القرآن الكريم نجد تكاليف الصلاة وتكاليف الصوم وتكاليف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد وجهت إلى الطرفين الرجل والمرأة، ولا توجد عندنا تكاليف قرآنية موجهة إلى الرجل وحده أو تكاليف قرآنية موجهة إلى المرأة فقط، فمثلاً: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2]، كلمة: (من) لم يقصد بها الرجل ولم يقصد بها المرأة، ولذلك كان الخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ لم يقصد به الرجل وإنّما المقصود به خطاب التكليف للذين آمنوا، أي الذين تكوّنوا من رجل وامرأة.

أقصد من هذا التصور أنّ الرؤية القرآنية والإسلاميّة للمرأة بمنزلة الرجل بمستوى واحد، ولا يفرّق القرآن ولم تفرّق سيرة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

النبي (صلّى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) بين الرجل والمرأة، إلاّ عندما تتميّز الخلقة، في باب تميّز الخلقة والتكوين فيكون هناك خطاب مختص بالرجل ويكون هناك خطاب مختص بالمرأة، ولكنه جاء التكليف للحاظ الخصوصية مثل الجهاد على الرجل وأحكام الحيض على النساء، وليس هو في أصل التشريع.

أمّا التشريعات الخاصة بالمرأة، فإنّما جاءت نتيجة التميز التكويني للمرأة، فمثلاً عندما أسقط الله تعالى الجهاد عن المرأة وأوجبه على الرجل في زمن من الأزمنة عندما كانت الحرب تعتمد على استخدام العضلات، فإنما كان السبب هو أنّ التكوين الفسلجي للمرأة لا يستطيع أن يوفّر هذا التكليف، وكذلك عندما أسقط الله سبحانه وتعالى تكاليف معيّنة عن الرجل وأوجبها على المرأة، فذلك لأنه كان فاقداً القدرة التكوينيّة لأداء ذلك التكليف.

أمّا بالنسبة للمرأة في عصر التهيئة للظهور، فدورها نفس الدور الذي هو للرجل، وعندما نتحدّث ويكون الخطاب للتذكير وليس التأنيث لم نكن نقصد به التذكير بما هو تذكير، وإنّما المقصود به المكلف الذي يتكون من رجل وامرأة، ولذلك فدور المرأة في عصر الغيبة وفي عصر التمهيد للظهور هو نفس دور الرجل وبنفس القوّة وبنفس الحساسيّة، وبنفس التكليف.

وعندما نتحدّث مع المجتمع بهذا الأسلوب فسوف تعلم المرأة كيف تؤدي وظيفتها، كما أن الرجل يعلم من خلال التكاليف الشرعية كيف يؤدي وظيفته، وهكذا بالنسبة لما بعد الظهور.

ومن البديهي فإن هذا الموضوع مهم، وأحب أن أشير إليه إشارات وأترك التفاصيل، وهو أن حركة الإمام العسكرية بعد الظهور هل هي كما نعرفها نحن؟ حرب وقتال، أم هناك حركة أحرى وبصورة أخرىٰ؟ فمثلاً عندما تُذْكَر الحرب في بعض الروايات فهل هي عبارة عن كناية، ومجاز، وألفاظ هدفها إيصال معنى أن حركة الإمام ضخمة وعظيمة؟ إن الجواب على هذا السؤال يحتاج إلى بحث ودراسة، ووقت لشرح تلك الأبعاد المهمة لتلك الحركة بالنسبة إلى الإمام (عليه السلام).

والحقيقة أن دور المرأة التغييري يتبين فيما لو عرفنا أن دور حركة الإمام ليست قتالاً بمعنى القتل والقتال فقط، وإنّما هي لتغيير الإنسان، وسوف نعرف أنّ الدور واحد للرجل والمرأة.

وأمّا أن المرأة سوف تقتل الإمام فجاء في رواية شاذة مهملة لا تصلح في مقام تأسيس النظرية الإسلاميّة.. إضافة إلى أن هناك بحثاً يا أخواتي وهو: هل أن الإمام (عليه السلام) سوف يقتل أو يموت ميتة طبيعية أو بإشاءة ربانية؟ هذا الشؤال يحتاج

إلى جواب يؤصل في بحث لست الآن بصدد التفاصيل عنه، وتوجد عندنا روايات بأنّه (عليه السلام) سوف يقتل، لكن هناك روايات أخرى أيضاً تقول بأنه (عليه السلام) سوف يموت ميتة طبيعيّة[1]، وأستميحكم عذراً للإيجاز لأني أحتاج إلى وقت كافٍ وهو ما لم يسعه الوقت المخصص لهذا اللقاء.

السؤال الخامس:

لماذا نقول: حركة الإمام المهدي ولا نطلق عليها ثورة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

الجواب:

يتمكّن الإنسان أن يعبّر عنها بكلا التعبيرين، فإن شاء أن يعبر عنها بالحركة التغيرية أو الثورة، فهذا مصطلح يمكن التسامح به لأنه مصطلح. والمتحدّث والمتكلّم والكاتب يستخدم المصطلح كما هو يصطلح عليه، ولا تشاح باستعمال الألفاظ.

السؤال السادس:

يظهر من الروايات أن الإمام المهدي يتخذ العراق (الكوفة) عاصمة له، فهل هذا الاختيار مبني على وجود قاعدة محبة أم لأسباب أخرى؟

---

(١) أنظر مختصر كفاية المهتدي: ٢٤١.

الجواب:

إن موقع العراق بالنسبة لحركة الإمام وموضع العراق، فيه جملة من الأبعاد المهمة التي سوف تتحقق في هذه البقعة المباركة، فإن عاصمة دولة الإمام (عليه السلام) هي العراق وبالخصوص الكوفة، والكوفة معقل الإمام وفيها بيت الإمام، ولذلك فقد جاء في بعض الروايات أن مسجد سهيل ـ أي مسجد السهلة ـ هو بيت الإمام[1] وقد يستشكل على هذا الموضوع أنه كيف يكون مسجداً وبيتاً في آن واحد؟ وهو موضوع لطيف وطريف وفيه من المعالم العقائدية والفكرية اللتي تحتاج إلى تفصيل، ويمكن أن يجاب عليه بسؤال آخر وهو: كيف كان مسجد النبي بيت النبي (صلّى الله عليه وآله)؟ وبيت فاطمة (عليها السلام) في المسجد؟ ولذلك سدّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كل الأبواب التي كانت تطل على المسجد إلاّ بيت عليّ (عليه السلام)[2]، لأن بيت علي هو بيت النبي وهو المسجد ـ أي لا فرق بين بيت عليّ والمسجد ـ لأنّ إرادة الله شاءت أن تكون للإمامة موقعها الخاص، وهذا يحتاج إلى تفصيل.

---

(١) الكافي للكليني ٣: ٤٩٤/ ح٢/ باب مسجد السهلة.

(٢) يشير إلى ذلك ما روي أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «سدوا الأبواب كلها إلاّ باب عليّ، وأومى إلى باب عليّ»، راجع: كنز العمال ١٣: ١٣٦/ ح٣٦٤٣٢

وأن مسجد السهلة سوف يكون بيت الإمام، وفي هذا البيت سوف تشدّ الرايات للإمام المهدي، أي أن مركز الدولة العالمية يبتدىء هناك، والسبب في ذلك هو أنّ هذا الشعب بإرادة الله تبارك وتعالى سوف يبلغ القمة في التمحيص.

وعندنا روايات تتحدّث عن الآية الكريمة ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ﴾ ثمّ الآية تقول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1] الإمام الباقر (عليه السلام) يقول: إن هذه خاصّة بأهل العراق[2]، يعني أن هذه العلامات، التي هي علامات الضغط، ونقص في الأموال والثمرات ثم القتل والدمار والدم الذي سال في العراق وعلى أرض العراق.

أمّا لماذا أنّ الله ابتلى أهل العراق بهذا الابتلاء؟! فللأسف أنّ هناك ثقافة أمويّة ـ وليست ثقافة علوية هاشمية ـ حاولت أن تثبت كثيراً من قطاعات الأمّة على الإنحراف باتهام العراقيين بأنّ هؤلاء يستحقون العذاب والمرارة لأنهم أهل الشقاق والنفاق.

إن هذه الثقافة إنما هي من رواسب الثقافة الأموية؟ وعليه فلماذا خصّوا بها أهل العراق ولم يخصوا بها أهل الشام؟!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥

(٢) غيبة النعماني: ٢٥١/ باب ١٤/ ح٧، قال (عليه السلام): «ذلك جوع خاص وجوع عام، فأما بالشام فإنه عام، وأما الخاص بالكوفة يخص ولا يعلم..» الحديث.

لأن أهل العراق ومن بداية تأسيس العراق وقبل أن يأتي الإمام أمير المؤمنين إلى الكوفة وأسّس خلافته كانوا قد بنوا أساسهم على أساس علوي هاشمي، ولذلك كانت النهضة الأولى التي أسقطت الانحراف الذي سبق خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) وقبل أن ترجع زمام الإمامة إلى الإمام ابتدأت من العراق، وهكذا فالتصحيح بدأ من الكوفة، والحرب ضد الانحراف بدأ من الكوفة، لأن الكوفة كانت علويّة من بداياتها، وكبرت علويّة، وبقيت الكوفة وبقي العراق علوياً، وبتعبير آخر (محمّدياً)، وبتعبير آخر إن الإسلام الصيحيح كان في العراق، ولذلك كان على عاتق هذا الشعب بناء جيش الإمام المنتظر (عليه السلام)، وعلى عاتق هذا الشعب قيادة البشريّة في التغيير الذي يحدث عند ظهور المهدي.

ولذلك سوف يبتلي الله هذا الشعب بهذه الابتلاءات، ويشدّد التمحيص ويشدّد الابتلاء، لأنّه جاء في روايات الابتلاء وروايات الفتن: كلّما اشتد الابتلاء وكلما كثرت المحن زكى هذا الإنسان، وهذا المجتمع، وهذا الشعب، وكان أكثر أهميّة لقيادة البشرية، كما أن الحديد كلما سلّطت عليه النار كلما تخلّص من الشوائب، وكلما كان أنقى وأكثر تحمّلاً للصعوبات.

والمصاعب التي مرَّ بها الشعب كانت مقصودة لأنَّ هذا

الشعب هو قائد العالم، وقائد التغيير للدنيا في عصر الظهور، وأعطيكم مثالاف صغيراً رأيناه بأم أعيننا: إن العراقي في أي بلد كان من البلاد ـ حتّى وإن كان قبل خروجه من العراق ليس متديّناً ـ فهو عندما يخرج إلى بلد من بلدان العالم فإن أوّل ما يشيد في ذلك البلد حسينيّة، ويبني مسجداً، يقام فيه مجلس الحسين (عليه السلام)، وقد امتلأت الأرض حالياً بأبعادها بذكر الحسين من يوم هاجر العراقيون إلى العالم، فهذه حكمة إلهيّة أن يكون هذا الإنسان يُربَّى هذه التربية التي جاءت في كثير من الأحيان انعكاساً للسلوك العدواني الذي كان يواجهه الإنسان العراقي من الأنظمة الطائفية ويعلّم هذا التعغليم الذي له ـ قطعاً ـ يد غيبيّة فيكون هذا الإنسان له دور حالياً، فكيف يكون دوره في التغيير المستقبلي؟! إن شاء الله يشارك بشكل مؤثر بتغيير الأمّة وتغيير العالم.

لعلَّ لهذه الأسباب يكون منشأ أهميّة العراق.

والحمد لله رب العالمين

* * *

الندوة الثانية

(كلية الآداب/ النجف الأشرف)

دور العراق في

حركة الإمام المهدي (عليه السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمّد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن على منكري فضائلهم إلى يوم الدين.

اللهم ربنا وفقنا وجميع المؤمنين، واجعله خالصاً لوجهك الكريم، إنّك أرحم الراحمين.

شمولية النظريّة الإسلاميّة:

عندما نتحدّث عن حركة الإمام المهدي (عليه السلام)، وندرس خريطة الحركة تظهر أمامنا مواقع كثيرة مهمّة ذُكِرَتْ في الروايات المستقبليّة لحركة الإمام، وأهم تلك المواقع هو العراق، وقد وجدنا موقع العراق على خارطة حركة الإمام، قد أخذ اهتماماً كبيراً في الروايات.

وقبل أن نتحدّث عن تفاصيل وجزئيات هذا الموقع الوارد في الروايات الشريفة لا بدّ من الحديث كمقدّمة أولى (لدفع دخل

كما يقول العلماء) للموضوع بالحديث الجغرافي عن المناطق والأمكنة الجغرافية.

وذلك لأن الفكر الإسلامي يعالج مسألة المكان برؤية فلسفيّة ثورية واقعية، وموضوع (أثر المكان في حركة الإنسان)، من المواضيع المهمة والضرورية التي تجعل الباحث يتطرق إلى عالمية الإسلام والمفاهيم التي جاء بها كادليوجية حملها الإنسان بدون قيد زماني أو مكاني.

فعندما نقرأ ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[1]، فهو كسر لطوق المكانية وطوق الزمانية، يعني أن المؤثرات المكانية والزمانية سوف تنعدم عن الروح والفكر الثوري الإسلامي.

ونلاحظ أيضاً أن الأطروحات المؤطرة بأطر مكانية، كالأطروحة القومية، العربية أو القومية الفارسية أو القومية الألمانية أو أي أطروحة قومية أخرى، قد برز فيها المكان واضحاً على الأطروحة، يعني أنه قد أُخذ في الأطروحة موضوع المكان كمسألة أساسية وأوّلية، يحدّد طوق تلك الأطروحة، وذلك المشروع الفكري، أو الثقافي الذي يطرح للأمّة المختصة بالمكان.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

فالقومية العربية تتحدّث عن مكان محدد بوطن سموه الوطن العربي، والقومية الفارسية تحدّثت عن المكان الذي يحكمه جوّ من الانتماء العرقي أو الانتماء المكاني، وهكذا في القوميات الألمانية والقوميات الأخرى التي طرحت في أوروبا في عصور تسبق ما طرح في وطننا العربي، أو وطننا الإسلامي.

ولا أُريد أن أعالج مسألة المكان؛ وهل أنّ الإسلام قد أكّد على هذا المنطق في طرحه، وفي مفهومه، وفي المقدار الشرعي واللاشرعي فيه؛ لأن هذا الموضوع يجرنا للحديث عن مفهوم الوطن وعن مفهوم القومية، وقد سبق لي أن طرحت هذا الموضوع في كتب مطبوعة ومنشورة على نحو مستقل ومنشورة في عدّة صحف في العراق وفي غير العراق.

خصوصيّة العراق:

لكني أُريد أن أشير إلى أنّنا وإن تجاومزنا بطرحنا العام، وطرحنا الأممي المكاني، لأن الفكر الإسلامي تجاوز الموقع المكاني والزماني؛ فالإسلام ليس لأمّة دون أمّة، ولا لزمان دون زمان، مع أننا نؤكد على هذه الحقيقة فأننا نؤكّد أن هناك أموراً لا بدّ أن نتحدّثي عنها بواقعية، وهي: أنه كان للمكان في كثير من الأحيان خصوصيته في تحديد مواقع المبادىء والعقائد.

وعندما نتحدّث عن العراق، فإنّ العراق يحتاج للحديث عنه من خلال الرؤية الإمامية الشيعية للعراق، فنتحدّث عنه كمستقبل، ونتحدّث عنه كماضي مؤثّر في المستقبل ومؤثر في الحاضر، ونتحدّث عن العراق كموقع اهتم به أهل البيت (عليهم السلام) فكرياً، واهتموا به تطبيقياً وميدانياً.

وهذا الموضوع بنفسه يحتاج إلى تفصيل ويحتاج إلى حديث خاص لملاحظة ما ورد في العراق من روايات أهل البيت (عليهم السلام) من موقع قيادي في الماضي والحاضر والمستقبل، ولكني أختصّ بالحديث في هذه المحاضرة عن العراق ودور العراق المستقبلي في حركة الإمام المهدي (عليه السلام).

وقد وجدنا هناك تنوعاً في الروايات، كما وجدنا تحديداً لكثير من الخصوصيات التي تتحدّث عن العراق كموقع جغرافي، وقد عبّرنا عنه باصطلاح المكان.

وهناك شيء آخر وجدناه في الروايات التي تحدّثت عن الناس، والمجتمع الذي يعيش في هذه البقعة من الأرض، والذي قد أعبر عنه بالعراقيين،د وأقصد سكان هذه الأرض بدون لحاظ الانتماء العرقي أو غير ذلك من الانتماءات، ومن دون تحديد الهوية والجنسية، وما إلى ذلك من التفصيلات مما يمكن للإنسان أن يتعرّض لها، أو لا بدّ للباحث أن يشخص تلك

الخصوصيات، مثلاً مَنْ هو العراقي؟ ومَنْ هو غير العراقي؟ وسوف أغضّ الطرف عن هذه التفصيلات في هذه المحاضرة، لأني أرى أن الروايات تحدّثت عن العراقي الذي يكون متواجداً في هذه المنطقة، ويحمل همّ هذه الأرض، وينتمي جغرافيّاً وليس قطرياً وإقليمياً فحسب، بل ينتمي جغرافياً لهذه الأرض المسماة بالعراق.

مراحل دور العراق:

والعراق له دور مستقبلي في حركة الإمام المهدي (عليه السلام)، وبملاحظة الروايات التي تحدّثت عن العراق نجدها قد أخذت عدة صور في الحديث عنه، فمرّة تحدّثت الروايات عن العراق الذي يسبق الظهور، وأخرى تحدّثت عن العراق الذي يمهد للظهور، وأخرى تحدّثت عن العراق الذي سوف يشارك في الظهور.

بمعنى أن هناك مراحل ثلاث يمر بها العراق، وهذه المراحل الثلاث هي:

المرحلة الأولى: قبل التمهيد:

وهي المرحلة التي تسبق التمهيد للظهور، وقد قالت عنها الروايات: أن الأمّة في العراق سوف تعاني التمحيص، وسوف

تعاني الابتلاء والشدة من حكام جور سيحكمون هذا البلد، ويحكمون هذه البقعة الجغرافية، حتّى يؤدي هذا الجور إلى حالات صعبة يمر بها العراق والشعب العراقي، وقد عبرت الروايات عن هذه الحالات بأنواع مختلفة.

ومن جملة تلك الأنواع التي يمر بها العراق في عصر قبل التمهيد، وهو العصر الأوّل الذي نتحدّث عنه المرارة التي يمر بها المجتمع العراقي، التي سوف تؤدّي إلى ضغوط كثيرة، منها ضغوط نفسيّة، وضغوط دينيّة، وضغوط اقتصادية، وحتّى ضغوط تكوينية تغير في طوبوغرافية المجتمع العراقي.

وإن هذه الصورة المتعددة التي تحدّثت عنها الروايات قد صورت لنا أن العراق سوف يُحكم من قبل حكّام جور، وإن هؤلاء الحكام يغيرون كثيراً من خصوصيّة هذه المنطقة مما يجعل المنطقة تعيش في حصار اقتصادي، وهو المعبر عنه في الروايات بالجوع: «يشمل أهل العراق جوع ذريع.. يشمل أهل العراق نقص في الأموال»[1]؛ هذا كله موجود في نصوص وروايات وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام) والأئمّة (عليهم السلام) حيث تحدّثوا عن الجوع والحصار والألام الاقتصادي الذي يمر به الشعب العراقي قبل مرحلة التمهيد.

---

(١) لاحظ: الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٦٩؛ كشف الغمة للإربلي ٣: ٢٥٦.

ومن الصحيح أن هذا شيء قد مر به العراق مرات كثيرة، ولكنّه قد يكون آخر مرة خلال الحقبة الزمنية الأخيرة التي تجاوزت العشر سنوات.

والشيء الآخر الذي يمر به العراق حالة الحروب المتكررة، وكثرة الدم، وكثرة القتل، وكثرة الذبح، مما يؤدي إلى انتشار حالة اجتماعية مرفوضة، وهي حالة الخوف الذريع. والخوف الذريع سببه إنعدام الأمن الذي سوف يكون في العراق.

وهذا الخوف الذريع ـ للأسف الشديد ـ سوف يؤثر على إرادة الإنسان، لأن الإنسان بطبيعته تحكمه خصوصيات اجتماعية ونفسية وإن أراد أن يتجرد منها أو يكبر عليها، لكن هناك ضغوط اجتماعية قد تفقد الإنسان في كثير من الأحيان إرادته، وهذه الحالة سببها الخوف، والذي يمكن أن نرجع سكوت الشعب العراقي أو كثير من قطاعات الشعب العراقي عما مرَّ عليه من الاضطهاد، والحرمان، والعذاب، والقتل وما إلى ذلك، مع أنه كان ـ تقريباً ـ ساكتاً بالشكل العام نتيجة في كثير من الأحيان لما يفسر بفقدان الإرادة، فالإنسان عندما يرى الظلم لا بدّ أن يقاتل الظلم لكنه كان فاقد الإرادة أمام الظلم، وغير قادر على أن يجابه الظلام والحكام الذين سبق وأن حكموه وسلبوا إرادته.

إنَّ هذه الحالة تظهر قبل مرحلة التمهيد، والتي عبر عنها

الأئمّة (عليهم السلام) في كثير من تلك الأحيان بأنه وخوف يشمل أهل العراق وموت ذريع فيه[1].

هذا الخوف الذريع قد يؤدي إلى تغيير خصوصيات التفكير عند الإنسان، ولكن مع كل ذلك فإن هذا الخوف الذريع، قد يؤدّي إلى حالة إيجابية أيضاً، وليست الحالة سلبية فقط، فقد تكون هناك حالة إيجابية، وهذه الحالة الإيجابية تميز وتغربل الناس بغربال كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) تميّزهم على قسمين، وهذه الرواية رواها النعماني في غيبته عن أبي بصير عندما كلّمه الإمام الصادق عمّا يمر على أهل العراق من الفتن والامتحان والبلايا، وأنهم يغربلون كغربلة الغربال فيميز أحدهم عن الآخر، الرديء عن الحسن[2].

هذا التمييز إنما يأتي من الفتن، يأتي من الضغوط التي يمر بهاالمجتمع العراقي في هذه المرحلة.

وهنا قد يثار سؤال: لماذا يمتحن هذا الشعب بهذا الامتحان دون غيره من شعوب العالم، ومناطق الدنيا؟

---

(١) راجع: روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري: ٢٦٣؛ الإرشاد/ المفيد ٢: ٣٦٩؛ كشف الغمة/ الإربلي ٣: ٢٥٦؛ الفصول المهمة/ ابن الصباغ المالكي ٢: ١١٣.

(٢) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «... لا بدَ للناس أن يمحصوا ويميزوا ويغربلوا وسيخرج من الغربال خلق كثير»، راجع: كتاب الغيبة للنعماني: ٢٠٤/ ح٦.

قد نجد أكثر الروايات التي تحدّثت عن عصر الظهور ذكرت فيها منطقة العراق، بحيث أن الفقيه والقارىء المستنبط لتلك الروايات التي تحدّثت عن عصر الظهور يجد أكثر تلك الروايات التي تحدّثت عن عصر الظهور وما فيها من علامات ودلالات وآيات وما إلى ذلك أنها سوف تحدث في العراق؟

ففي هذه المرحلة التمهيدية (المرحلة الأولى) نجد أكثر هذه العلامات تحدث في العراق قبل أن تشمل العالم، لماذا هذا التمحيص والابتلاء في العراق؟ لماذا هذا الامتحان وشدة الامتحان في العراق؟

الجواب: لأن الله سبحانه وتعالى أخذ العراق مكاناً جغرافياً مهماً لحركة الإمام المهدي، وهو الذي نقرؤه في العصر الثالث، وهو عصر ظهوره وعصر حركته (عليه السلام)، فإنّ موقع التحرك المهم يكون في العراق، ولذلك سوف يكون هذا الموقع لأهميته بمستوى هذه المهمة، وأن يكون الجمهور والمجتمع والناس الذين يسكنون في هذا الموقع الجغرافي بمستوى هذه المهمة.

بمعنى أنه لا بدّ من تناسب طردي بين المهمة، وبين شخصية المجتمع الذي يسكن في تلك الأرض التي تتحمل هذه المهمة، فعندما نقرأ أن عاصمة الإمام المهدي (عليه السلام) سوف تكون في العراق، وتكون في الكوفة، وعندما نقرأ أن مرحلة تحرك

الإمام المهدي (عليه السلام) تكون من الكوفة، أو من العراق؛ فلا بدّ أن يكون المجتمع في ذلك الموقع قد تحمل كل الامتحانات ولم يسقط أمامها، وتحمل كل الهموم ولم يسقط أمامها.

هذا المجتمع الذي لم يسقط، أو الذي خرج من الامتحان ناجحاً يكون مؤهلاً لقيادة البشرية وقيادة العالم، فلذلك ولأجل أن يكون هذا المجتمع القائد، والمجتمع الرائد الذي يقوم بمرحلة هداية البشرية، لا بدّ أن يكون قد مر بالامتحانات السابقة الصعبة وقد خرج منها ناجحاً.

وبالفعل كان التأكيد الإلهي على العراق؛ لأن العراق دولة الإمام، ولأن العراق مجتمع الإمام، ولأن العراق محط قادة الإمام وجند الإمام، ولذلك فلا بد لهذا المجتمع أن يمر بالامتحان.

إذن هذا الإمتحان وهذا العذاب وهذا التمحيص لم يكن سخطاً إلهياً على المجتمع كما يصوّره بعض الناس عندما يقرؤون حركة الإمام، وإنما هذه العلامات التي تظهر من أجل أن يوفر المجتمع كل خصوصيات، وكل صفات القيادة المؤهلة له لقيادة البشرية.

نلاحظ الدور الإيجابي للمجتمع العراقي في عصر الظهور، هذا الدور مترابط بالمراحل.

إذن فهذا العذاب وهذه المرارة التي يمر بها العراق ويمر بها المجتمع العراقي سوف يؤهّله وينظّمه ليأخذ دوره الطبيعي.

ونحن في عقيدتنا الإمامية نعتقد أن الإمام المهدي (عليه السلام) لا يظهر بصورة إعجازية، ويريد أن يثبت الإعجاز في الأرض، وفي الوجود، وإنما يظهر (عليه السلام) بشكل طبيعي عندما تتوفّر القواعد وتتهيّأ القيادة المؤهّلة لذلك الدور التغييري للعالم، وليس للعراق فقط، وليس للعرب فقط، وليس للمسلمين فقط، وإنما التغيير الأرضي، وبواسطة التغيير الأرضي سوف يكون هناك تغيير كوني، فالكون سوف يتغيّر.

وقد تعجب كيف يكون تغيير الكون؟! ولإزالة هذا التعجب نحتاج إلى حديث خاص حول دور المهدي في تغيير المجموعة الشمسيّة وحركة المجموعة الشمسيّة، وهذا فيه لحظات ليست انطلاقاً من الروايات والأحاديث المقدسة فقط وإنما من خلال بحوث علمية تتحدّث عن هذا التغيير الكوني الذي سوف يحدث في عصر المهدي (عليه السلام).

المرحلة الثانية: التمهيد:

هذا التغيير الذي يقوم به الإمام يبتدىء من العراق، ولذلك يحتاج هذا الدور إلى تمهيد، وهو المرحلة الثانية:

وفي مرحلة التمهيد يأخذ العراق دوراً كبيراً قبل أن يتحرك الإمام، وقبل أن يظهر الإمام.

ولا بدّ لهذا المجتمع الذي خرج من الامتحان ناجحاً أن يكون له دور الممهّد لظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

وهناك روايات تتحدّث عن الممهدين للمهدي سلطانه، وعن الموطّئين الذين تعبّر عنهم الروايات: الموطئون للمهدي سلطانه[1] وإن هؤلاء ينطلقون بحركتهم من العراق إلى خراسان، في حركة متواصلة.

ولا أريد أن أتحدّث عن الجانب الجغرافي لوجود هذه الحركة المتّصلة؛ العراق.. خراسان.. والمناطق الأخرى، وإنّما أتحدّث عن هذا الجانب في هذه المحاضرة وهو: أنّ العراق جزء من الموطّئين والممهّدين للإمام المهدي (عليه السلام).

وهناك روايات متنوّعة تحدثّت عن هذا التمهيد، ومن جملة تلك الروايات التي تحدّثت عن أن هناك قوى بمستوى الوعي،

---

(١) راجع: كنز العمال للمتقي الهندي ١٤: ٢٦٣/ ح٣٨٦٥٧.

وبمستوى الإدراك، وبمستوى المسؤولية للتغيير الشمولي للدنيا في العراق قبل الظهور، اقرأ هذه الرواية على الإمام الباقر (عليه السلام):

قال: «يدخل الكوفة ـ يعني الإمام المهدي (عليه السلام) ـ وبها ثلاث رايات قد اضطربت فتصفو له، ويدخل حتّى يأتي المنبر فيخطب فلا يدري الناس ما يقول من البكاء»[1].

لاحظ شيئين:

الشيء الأوّل: أنّه يأتي العراق، فلو كان العراق لا يملك التأهيل المناسب لاستمرار ثورته لانتقلت حركة الإمام إلى منطقة أخرى، مثلاً: إلى الشام، أو إلى خراسان، أو إلى اليمن، أو إلى مصر، ولكنه تجاوز كل تلك المناطق وتحرك بمجرّد أن نجح في مكّة والمدينة ـ كما تقول الروايات ـ وتوجّه إلى العراق.

والجهة التي يتحرّك، وينطلق منها إلى الدنيا هي العراق فيؤسّس الدولة المهدويّة في العراق، ثمّ بعد ذلك ينطلق إلى الدنيا.

ولا يتصوّر البعض في حركة الإمام الجانب السلبي الذي سمعناه وقرأناه في كثير من المرّات، حيث تحدّث بعض الناس

---

(١) الإرشاد للشيخ المفيد ٢: ٣٨٠؛ كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٦٩.

عن العراق بشكلٍ سلبي فقط، وإنما سوف يكون للعراق دور إيجابي، هذا الدور الإيجابي فيه ثلاث رايات.

بعض الروايات تقول فيها: راية الحسني وراية الحسيني وراية الخراساني هذه ثلاث رايات وهي رايات هدىً؛ يعني أنّ القوى الحاكمة في المنطقة قوىً لها امتداد عميق في الأمّة وهي قوىً تشكل براياتها الثلاث ـ والراية تمثل عملاً إيجابياً ـ قوى مسلّحة أو قوى غير مسلحة عسكرياً، ولكن تملك الجمهور الذي يساند هذه الراية؛ وهذه القوى هي الموطّئة والممهّدة.

وعندما يأتي المهدي تكون هذه القوى قد فَرَّغَتْ العراق له، ولذلك لم نقرأ في الروايات أن هناك حرباً تجري في العراق بين الإمام المهدي وبين أهل العراق، ولا توجد أي رواية بهذا الصدد إلاّ رواية البتريّة التي تحدّثت عن أولئك الستة عشر ألف الذين يخرجون ويسمّون البتريّة يقولون عندما يظهر الإمام: ما لنا ولك يابن فاطمة ارجع لا شأن ولا شغل لنا معك فيضع السيف فيهم[1].

أولئك البتريّة قوم غرباء عن العراق، والبترية لم يكونوا من الشيعة، إنما هم قوم غرباء عن العراق، وغرباء عن التشيع،

---

(١) دلائل الإمامة للطبري (الشيعي): ٤٥٥.

وغرباء عن شخصيّة هذا المجتمع العراقي، لكنّ الحرب تكون على الأرض العراقية، وأمّا الشعب لم يكن شعباً عراقياً، ولم يكن مجتمعاً عراقياً، وأن الذي يقاتل هؤلاء هو الإمام المهدي بالرايات الثلاث: راية الحسني وراية الحسيني وراية الخراساني التي تكون قد نشرت. ولا نقصد بالغرباء أنهم غرباء الجنسية، وإنما نقصد بالغربة غربة الشخصية فقد يكون أولئك من شذاذ سكنة هذه الأرض ولكنهم غرباء عنها وعن أهلها بالشخصية والطباع.

الشيء الثاني: الاضطراب الذي تذكره الرواية قد يكون له معنيان: الأوّل: معنىً من معاني الاضطراب الاهتزازي كما لو اهتزت تلك الرايات لكثرة الجمهور والقواعد التي تسير تحت تلك الرايات يعبّر عنها أيضاً بعبارة: (قد اضطربت).

وهناك تفسير آخر قد يكون للاضطراب: وهو حالة من اللاتفاهم الجزئي، أو حالة من الاختلاف الجزئي الذي قد يكون بين هذه الرايات، ثمّ تسقط وتتلاشى هذه الاختلافات على يد الإمام (عليه السلام).

وهذا الوضع يوضّح أن هناك قوىً قبل ظهور الإمام، وأن هذه القوى تمهّد للإمام، وتوطّىء للإمام (عليه السلام).

والرواية تتحدّث عن المجتمع العراقي تقول: «حتّى يأتي المنبر»؛ يعني لم يكن للإمام مدّة طويلة عند دخوله العراق، وإنما بمجرد أن يصل الإمام (عليه السلام) إلى الكوفة فإنه يصعد المنبر، ويخطب بالناس «فلا يدري الناس ما يقول من البكاء».

لاحظ: قوله (عليه السلام): «فلا يدري الناس ما يقول من البكاء» لا يفهم الناس ما يقول الإمام، لأن حالة البكاء شملت الناس، وهذا يفسّر شيئين:

أوّلاً: كثرة الجمهور، لأنه لو كان بكاءاً فردياً لانتبهوا.

ثانياً: يعطيك مدلول الحالة النفسية والعاطفيّة بين الجمهور والقائد بما يعني الحالة العاطفيّة والانفعال في أوج حالات الترقب والفرح والحضور وفي أعلى مستوياتها، حيث غلب البكاء على الجمهور.

إذن هذه القاعدة التي تكون قبل ظهور الإمام لم تكن قاعدة صغيرة، ولم تكن هذه القاعدة شاذّة أو تعبّر عن حالة فردانية بالحضور، وإنما تكون قاعدة واسعة من حيث الكم، وتكون قاعدة واعية ومتّفقة عقائديّاً وعاطفيّاً مع الإمام الذي يأخذها الانفعال الذي يغلب على كل حواس الإنسان سواء السمعس أو غيره، لأنّ الإنسان الحاضر قد توجّه بكلّه إلى الإمام.

هذا الوضع يعطينا أملاً في هذه الظلمة التي نعيشها، إذ ربما الإنسان في مثل هذا الجو يعيش الإحباط فهو عندما يخرج إلى الشارع وعندما يخرج إلى المجتمع يجد كثيراً من الأشياء المنكرة فقد تأخذه حالة من حالات اليأس، وحالة من حالات قد الإرادة التي يعيشها العالم الإسلامي والعالم العربي الآن.

إن هذا الوضع المأساوي الذي تعيشه الأمّة ككل، هو فقدان الجانب الفاعل في الإنسان، والجانب المؤثّر في الإنسان.

والذي يعطي الزخم المستقبلي الإيجابي هو العقيدة المهدوية عندما تكون في هذه المرحلة بكل خصوصيّاتها الشيعيّة التي تحكم الإنسان وفكر الإنسان، وتكون مؤهّلة للظهور.

إنّ هذه الحالة من حالات الهزيمة التي نعيشها، سواء في الهزيمة السياسية أو الهزيمة العسكرية في عدّة مواقع ابتداءاً من حرب حزيران وانتهاءاً بحرب أمريكا سوف تكون في مرحلة زمنية محدودة، وفي مرحلتنا هذه لا تكون طويلة وممتدّة، وإنما سوف تنقلب هذه الهزيمة إلى حالة إيجابية عندما نرتبط مع الروح الحقيقيّة للعقيدة الشيعيّة بما تفهمه عن الحركة المهدوية[1].

---

(١) وقد صدق القول هذا والتنّبؤ انتصار حزب الله الشيعة في لبنان على إسرائيل وغطرستها حتّى أذلوها وهزموها فولى اليهود الدبر، وهو أوّل مرة يعيش الاسرائيليون الهزيمة منذ قيام كيانهم الصهيوني إلى يومنا الحاضر (١٧/ ٩/ ٢٠٠٦م، ٢٢/ شعبان/ ١٤٢٧هـ).

المرحلة الثالثة: العراق في عصر الظهور:

قرأت الآن مجموعة من الروايات، وأنا أتحدّث عنها بشكل سريع، فإنها تحدّثت عن أهميّة العراق ودور العراق المستقبلي.

ونجد بعض تلك الروايات قد تحدّث عن هذا المجتمع من حيث كل الخصوصيّات التغييريّة يصنع على عيني الإمام[1] وحركة الإمام، ولذلك فإنّ أوّل شيء يقوم به الإمام (عليه السلام) هو الوصول إلى العراق، ويؤسّس في العراق هذه الدولة، وسيكون مقرّ الدولة الكوفة.

حتّى أنّها تحدّثت عن الكوفة، وعن علاقة الكوفة بهذه القيادة، تقول: «ويكون أسعد الناس به أهل الكوفة»[2]. إشارة إلى العراق؛ والروايات عندما تتحدّث عن الكوفة فهي تعني العراق ككل وعموماً، أي بالشكل العام.

وعندما تتحدّث عن العراق تقول: «أسعد الناس به أهل الكوفة»، ولم تقل الرواية: أفرح الناس)، أي أكثر فرحاً، بل هم أكثر سعادةً، لأن هذا الشعب تحمّل الكثير من أجل الإمام (عليه السلام)، وتحمّل الكثير من أجل أهل البيت (عليهم السلام)، فيكون حينئذٍ محل اقتطاف تلك الثمرة هو هذا المجتمع في هذه

---

(١) مقتبس من قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ١٥.

الأرض فلذلك يكون الناس سعداء، بمعنى مرتاحين من جميع الجوانب؛ الجوانب الحضاريّة، والمدنية، والثقافية، والسياسية، والعسكرية، وكل الجوانب التي ترتبط بحياة الإنسان وحينها تتوفّر أحسن سبل الراحة في العراق وفي عصر الإمام (عليه السلام).

ولذلك نجد الإنسان في العراق سوف يتغيّر من حالة الهزيمة والتعب، والمرارة، والعذاب، والشقاء يتحوّل إلى مجتمع مثالي. ولا بدّ أن نتحدّث عنه ضمن الحديث عن خصوصيّات المجتمع المهدوي في محاضرة مستقلة.

عاصمة الدولة المهدوية:

المجتمع المهدوي يختلف عن باقي المجتمعات بخصوصيّات لم تتوفّر قبل الظهور، وإنما تكون هذه الخصوصيات قد توفرت بعد ظهوره (عليه السلام)، فعندما تتوفر السبل العمرانية والحضارية فبطبيعة الحال يكون ذلك سبباً للهجرة، فعلى سبيل المثال عندما جاء النبي (صلّى الله عليه وآله) إلى المدينية المنورة كان يقطنها الأوس والخزرج وبعض اليهود في مناطق وحصون بعيدة عن داخل المدينة، أي أن المدينة المنورة كانت قرية صغيرة؛ أمّا مكّة فكانت تسمّى أمّ القرىٰ، لأنّ فيها كل وسائل الراحة التي تجبى من الشام، وتجبى من اليمن، ومن حضارات الدنيا من الفرس والروم، وما إلى ذلك، ولكن بعدما جعل

الرسول (صلّى الله عليه وآله) المدينة المنورة عاصمة له حينها بدأت الهجرة إليها من باقي المناطق حتّى أهل مكّة أنفسهم قد هاجروا إليها لتوفّر وسائل الراحة، ولذلك صار المهاجرون من حيث الكم والنفوس العدد الأكبر بالنسبة إلى سكّان المدينة والتنوّع من جميع العرقيّاتد، حتّى تجد الرومي قد سكن المدينة.

وفي عصر الإمام وعندما يكون العراق، وتكون الكوفة عاصمة الإمام وتتوفّر في هذه العاصمة كل وسائل الراحة وتطوّرات المدنيّة، فحينئذٍ يكون الحضور والهجرة بكثرة بحيث تعبّر تلك الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول: «إذا قام قائم آل محمّد (عليه السلام) بنى في ظهر الكوفة مسجداً له ألف باب واتّصلت بيوت الكوفة بنهر كربلاء».

يعني أن الدنيا سوف تهاجر إلى هذه المنطقة الخربة، التي خرّبها صدام وخرّبتها الأنظمة. وسوف يعمّرها المهدي، وتعمّر في عصر قبل المهدي، ولكن يتم التعمير الأعظم عندما يظهر بقية الله.

وهذا التطوّر في هذه المنطقة بالخصوص ـ وهي العراق ـ سوف يكون حقّاً أسعد الناس به أهل الكوفة، يعني أهل العراق، لما يظهر في هذه المنطقة من تطوّر كبير، والحديث طويل جدّاً.

واكتفي بهذا المقدار، لكني أرجو أن يوفّق الحاضرون لمتابعة الموضوع ومعرفة الدور المطلوب من العراقي.

طبعاً أن القضية المهدذوية بالبداية عقيدة في العقول والنفوس، ولكننا نؤمن أن العقيدة المهدوية لها آثارها الحياتية في واقع المجتمع العراقي، وهناك بحث كتبته سابقاً هو: أثر العقيدة المهدوية في الفكر السني، يعني الفارق بين أثر العقيدة المهدوية في الفكر الكسني عن الفكر الشيعي وأثر العقيدة المهدوية في تأريخ الشيعة وحاضر الشيعة، وأهم أثر واقعي هو أن يعيش الإنسان الإيجاب والإيجابية والتغيير والتحول نحو الأحسن.

الأسئلة والأجوبة

السؤال الأول:

(أوّلاً): أود أن اتفق مع سماحة السيد أن العراق نقطة الانطلاق للمشروع الحضاري الإسلامي المعاصر، وأنه نقطة الانطلاق كما تقول (كنوداليزا رايس) مستشارة الأمن القومي: أن العراق اليوم نقطة انطلاق لشرق أوسط جديد

(ثانياً): هناك حملة شديدة تتهّم الروايات المهدوية بالضعف والإرسال واضطراب المتون وضعف بعض روات أسانيدها مثل المفضّل بن عمر، فما يقول سماحة السيد بهذا الأمر؟

الجواب:

أشكر الأخ الدكتور العميد[1] على ما كتبه وأشكره على حفاوته وتهيئة الظروف والأجواء الأخوية والعلمية، وأسأل الله له

---

(١) المقصود: الدكتور عبد الأمير زاهد عميد كلية الآداب في جامعة الكوفة، حيث أقيمت هذه الندوة على قاعتها.

ولكم التوفيق، وأن يجعلنا من جند الإمام المهدي (عليه السلام).

أمّا بالنسبة لتوثيق السند للروايات، فهذا موضوع قائم بنفسه، فهناك بحث بالنسبة إلى موضوع أسانيد روايات الظهور وهل تحتاج إلى دراسة أسانيدها بالضبط كما نفعل مع الروايات الواردة في مسائل الفقه أم أنها ليست بحاجة إلى هذه الجهود العلمية من أبحاث الأسانيد، ويكفي بالقرائن الحالية والمقامية لتصحيحها كما يفعل مع القضايا التاريخية.

أمّا اتهام هذه الروايات بالضعف فلنا بحث مكتوب ومطبوع حول روايات الظهور عموماً، ففي الفكر الإسلامي عندنا نوعان من الروايات:

النوع الأوّل: الروايات العامّة التي تحدّثت عن المهدي وعلامات الظهور، يدخل أكثر تلك الروايات تحت عنوان كتاب الملاحم لأحمد بن جعفر بن المنادي، وكتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي، وهذان الكتابان موضع نقد من حيث السند، ولو أن السيد ابن طاووس عندما كتب كتاب الملاحم والفتن في علامات الظهور إنما اعتمد على هذين الكتابين بالدرجة الأولى وهو واضح من خلال عنوان كتابه ولذلك نعتبر من حيث الأسانيد أنّ هذه الأسانيد ساقطة من الاعتبار ولا يمكن أن نعمل عليها على نحو

المسألة الفقهية، ولكن هناك بحث بالنسبة إلى المسألة التاريخية وتنبّؤات المستقبل.

النوع الثاني: وهي روايات الشيعة الموجودة في كتاب الغيبة للنعماني، والغيبة للشيخ الطوسي، وإكمال الدين للشيخ الصدوق، وغيرها من كتب الشيعة، ففيها من الروايات المتينة والصحيحة سنداً ودلالة، ولكنها تحتاج إلى التفصيل في هذا الموضوع، نسأل تعالى أن يوفقنا للحديث عنه لاحقاً بشكل مفصّل.

السؤال الثاني:

نجد في كثير من الروايات والمقالات ما يذم أهل العراق ويتّهمهم بالنفاق، ولذا نجدهم قد وضعوا منهجيّة تنشر اليأس في قلوب الكثيرين، وتخمّد الروح الثوريّة لدى الناس، لأنّها في الغالب تذكر السلبيّات دون الإيجابيّات.

الجواب:

في الواقع لا توجد رواية: يا أهل العراق يا أهل الشقاق والنفاق في نهج البلاغة لأميرالمؤمنين (عليه السلام)، وإنّما هو افتعال قام به الأمويّون لأجل حربهم ضدّ العلويين باعتبار أنّ العراق تأريخياًكان علوياً نشأةً، وكان علوياً جهاداً، وكان علوياً سياسة، وفي كل أبعاده بعقي العراق مع أهل البيت وسوف يبقى العراق مع أهل البيت إلى أن يظهر المهدي إن شاء الله تعالى.

ولذلك حظي العراق بحرب ضروس من الأمويين فاختلقوا من تلك الأكاذيب التي تحدّثوا فيها عن أهل العراق.

وأمّا ما نجده في بعض الروايات من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو ما نعبّر عنه منطقيّاً وبالمنطق الأروسطي بالقضيّة الخارجية، فكان (عليه السلام) إنما يتحدّث عن مجتمع عاصره وقد عانىٰ هو (عليه السلام) من هذا المجتمع المرارات ، ولذلك كان يتحدّث عن بعض الحاضرين ولم يكن قد تحدّث عن المجتمع كمجتمع على نحو القضية الحقيقية، بل بالعكس فلو أراد الفقيه أن يحدّد الصورة الدينيّة والرؤية الإسلاميّة والشيعيّة للمجتمع العراقي لرآه مجتمعاً ممدوحاً، وأهم رواية ـ في نظري ـ تحدّثت عن الكوفة هي ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بصيغ مختلفة تؤدي كلها معنى: «يا كوفة ما أرادك جبّار بسوء إلاّ قصمه الله»[1]، يعني أنّ الله نصر الكوفة

---

(١) روي الحديث بصيغ عدّة منها:

ما رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة ١: ٩٣/ ح٤٦، وفي طبعة ثانية ١: ١٧ قال (عليه السلام): «كأني بك يا كوفة تمدين مدّ الأديم العكاظي، تعركين بالنوازل، وتركبين الزلازل؛ وإني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوءاً إلاّ ابتلاه الله بشاغل، ورماه بقاتل».

وفي الوسائل ١٤: ٣٦/الرقم العام ١٩٣٨٦/ طبعة آل البيت؛ ونقله الشيخ النوري في مستدرك الوسائل ١٠: ٢٠٣؛ والمجلسي في البحار ٥٧: ٢٠٩، و٩٧: ٣٨٥؛ والشيخ الحائري في شجرة طوبى ١: ١٢؛ والشيخ النمازي في مستدرك سفينة البحار ٩: ١٩٩؛ وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة

وسوف ينصر الكوفة ويحفظ الكوفة ويجعلها المنطقة التي تؤدي دورها المطلوب في دولة الإمام.

سؤالان يتمحوران في محور واحد:

(الأوّل): هل تدل الأحداث الحالية في العراق وفي دول أخرى على أنّنا نعيش في عصر الظهور؟

(الثاني): حاول سماحة السيد المحاضِر أن يطوّع الواقع

٣: ١٩٣؛ وروى الشيخ الكليني في الكافي الشريف ٤؛ ٥٦٣ عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «... مكّة حرم الله، والمدينة حرم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والكوفة حرمي لا يريدها جبار بحادثة إلاّ قصمه الله».

ورواه الشيخ الطوسي في تهذيب الأحكام ٦: ١٢ ولكن بتغيير قليل: «... والكوفة حرمي لا يريدها جبار يجور فيه إلاّ قصمه الله».

وفي روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ٤٠٧: «والكوفة حرمي لا يريدها جبار يجوز فيها إلاّ قصمه الله».

ورواه الحر العاملي في الوسائل ١٠: ٢٨٢/ الرقم العام ١٩٣٨٩.

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي: ٥١ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال له الخضر: إنك في مدرة لا يريدها جبار بسوء إلاّ قصمه الله».

ونقله ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٢: ٨٤؛ والسيد هاشم البحارني في مدينة المعاجز ٢: ٣٢٠؛ والمجلسي في البحار ٣٩: ١٣١، و٩٧: ٣٩٣.

وروى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢: ١٩٦ ويقول للكوفة عند نظره إليها: «أهلاً بك وبأهلك! ما أرادك جبار بكيد إلاّ قصمه الله».

وروى القاضي النعمان المغربي في شرح الأخبار: ٤١٧/ ح٧٦٦ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال وقد ذكر الكوفة: «أما أنها مدرة لا يريدها جبار بسوء إلاّ قصمه الله جزَّ وجل.

ومجرياته ليوحي للمستمع وليدلل على أن المرحلة الراهنة هي مرحلة ما قبل التمهيد، أي المرحلة الأولى، في حين أنّ العراق مرّ بمراحل مماثلة على مرّ تأريخه وحتّى عصرناالحالي، خاصة في العصر الوسيط الذي عاصر السنوات الأخيرة للدولة العبّاسية وتلى سقوطها، والويلات التي مرّت على العراق، وكانت تلك الفترة من أقسى الفترات. إنّ ظروف الظهور تحتاج إلى وقت طويل لكي تمهّد لذلك الظهور، وهي تحتاج منّا نحن العراقيين بالذات العمل الجاد والدؤوب لنكون بحق الممهدين لتلك الدولة.

الجواب:

نتفق أنّ المرحلة طويلة وليست هذه المرحلة بالأيام، وعندما نتكلم عن المرحلة فلا نقصد بها أنها تكون بيومين أو شهرين أو سنتين ويظهر المهدي (عليه السلام)، وإنّما نتحدّث عن العناصر المشتركة في هذه المرحلة بشكلها العام، فمثلاً أن الشيخ المجلسي وعندما تحدّث عن التوطئة للمهدي تحدّث عنها قال عن الدولة الصفوية في كتاب البحار الذي ألّفه في زمان الدولة الصفوية: (إنّ هذه الدولة التي سوف تسلم للمهدي الراية وتسلم للمهدي (عليه السلام) الأمور)[1].

---

(١) روى العلامة المجلسي في البحار ٥٢: ٢٤٣/ ح١١٦ عن غيبة النعماني بإسناده عن أبي جعفر(الباقر (عليه السلام)) أنه قال: «كأني بقوم قد خرجوا

وعلى كلِ حال فنحن نعيش الآن في الأمل، ونبقى فيه، وأمّا تشخيص هذه المرحلة فلم أتحدّث بالتشخيص الدقيق، لأن التشخيص الدقيق قد يكون نوعاً من أنواع التوقيت المذموم الذي نهينا عنه، وإنّما أتحدّث عن المرحلة بخصوصيّاتها العامّة التي نعيشها.

ولا إشكال فنحن الآن في المرحلة الأولى أو الثانية وليس نحن في مرحلة الظهور، ولكن في المرحلة التي تمهّد إن شاء الله لظهوره، وقد تكون هذه المرحلة ألف سنة أو سنة أو سنتين أو أيّام أو أشهر، فعلم ذلك عند الله، لأنّ التوقيت مذموم ونهينا عنه، فلم يكن المقصود من كلامي هو التوقيت، وإنّما الطرح العام لتوضيح الرؤية الدينية والشيعية لحركة الإمام ومستقبلها.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه، ثمّ يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء؛ أما إني لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»

ثمّ قال العلامة المجلسي بعد نقله هذا الحديث: (بيان: لا يبعد أن يكون إشارة إلى الدولة الصفوية شيّدها الله تعالى، ووصلها بدولة القائم (عليه السلام)).

الندوة الثالثة

(كلية الإدارة والاقتصاد/ جامعة الكوفة)

التطوّر الحضاري في

دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، البدر الساطع والمنصور المؤيّد أبي القاسم محمّد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللّعنة الدائمة على أعدائهم ومنكري فضائلهم إلى قيام يوم الدين.

اللهم ربّنا وفقنا وجميع المؤمنين، واجعله خالصاً لوجهك الكريم يا أرحم الراحمين. في البداية أشكر الأخ السيد العميد والمعاون في كلية الإدارة والاقتصاد ـ جامعة الكوفة، كما أشكر مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام)، وباقي الأخوة الذين تجشّموا العناء في تهيئة الظروف المناسبة للحديث عن سيدنا ومولانا بقية الله في الأرض (عليه السلام).

مفهوم الدولة:

عندما نعنون الحديث والبحث عن التقدّم الحضاري في دولة الإمام، فإنّ العنوان يتحدّث عن جانب من جوانب ما يظهر ويتجلّى في دولة صاحب الأمر.

وتلاحظون العنوان فإنه يتحدّث عن التقدم الحضاري، كما أنّه يتحدّث عن الدولة الخاتمة للإمام.

وعندما تريد أن تتحدّث عن الدولة كمفهوم سياسي؛ وأثر الدولة في بناء المجتمع المتقدّم، أو بالعكس حيث تتحدّث عن أثر الدولة في تأخّر الإنسانية، فإن هذا الموضوع بنفسه يحتاج إلى حديث مفصّل ومستقل: بمعنى: ما هو دور الدولة في بناء المجتمع الصالح وفي بناء الإنسان الصالح؟ وهل هناك معادلة طرديّة، أو عكسيّة بين المجتمع الصالح وبين الدولة الصالحة أو ليس هناك علاقة؟

وهذا تصوّر قد أخذ في مجمل أبحاث تحدّثت عن الدولة، وأثر الدولة في المجتمع، ولا أريد أن أتطرّق إلى كل ذلك البحث؛ وإنّما من المقطوع به أنّ للدولة دوراً كبيراً في بناء الإنسان، بغض النظر عن كل خصوصيات ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، وبهذا الصدد، فإن للدولة ـ كدولة وكبناء ـ دوراً في بناء المجتمع الصالح، وفي بناء الإنهسان الصالح؛ وأما مقدار هذا الدور، وحدود هذا الدور، وتطوّر هذا الدور، فهذا الموضوع بنفسه يحتاج إلى بحث وحديث.

الدولة الإسلاميّة

ويمكننا أن نعنون حديثاً آخر، عندما نتحدّث عن الدولة

الإسلاميّة التي أسّست في عهد النبي (صلّى الله عليه وآله)، وهي أوّل دولة إسلاميّة، بل أوّل دولة في مفهومها المعاصر نشأت في جزيرة العرب، ومن الصحيح أنه كانت هناك دول أخرى خارج هذه البقعة الجغرافيّة كالدول التي كانت في الشرق أو في الغرب، مثل الروم أو الفرسص أو الغساسنة أو المناذرة ـ إن صحّ على الأخيرين اطلاق اسم دول ـ ولكن في الجزيرة العربية تعتبر الدولة المحمّدية التي قام بها النبي (صلّى الله عليه وآله) أوّل الدول بمنظور حضاري بما يؤدّي وبما يملك للدولة من مفهوم.

أمّا أنّ هذه الدولة أخذت منحىً آخر بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولا أريد أن أتحدّث عن هذا المنحى بلحاظ عقائدي، وانطلاقة عقائدية، ورؤية شيعيّة صرفة، وإنّما أشير إلى أنّ انتكاسة كبيرة قد أصابت هذه الدولة ونقلتها من شكلها الحضاري وبنائها المؤسّساتي إلى الروح القبليّة التي كانت تحكم المجتمع العربي قبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ولذلك خسرت الدولة كثيراً من مفاهيمها الاستراتيجيّة، كما خسرت الدولة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كثيراً من مؤسّساتها على الواقع والواقعيّة، ومن جملتها المؤسّسة القضائيّة التي كانت قد انفصلت عن المؤسّسة التنفيذيّة والتشريعيّة في دولة رسول الله.

ولا أُريد أن أطيل الكلام وإنّما أردت أن أقول وأؤكد أن

هناك نموذجاً آخر، أو تطوّراً آخر، أو استرداداً واسترجاعاً للدولة في حياة أميرالمؤمنين (عليه السلام) عندما صار خليفة للمسلمين، وهذا يحتاج أيضاً إلى بحث يتعرّض إليه الباحث والمتحدّث لتحديد مفهوم الدولة برؤية إسلاميّة، ومفهوم الدولة برؤية عقائديّة مذهبيّة شيعيّة.

خاتمة الدول:

لكن هناك خاتمة الدول التي تختم الدول الإنسانية في عقيدة الإماميّة، وتكون في آخر الزمان عندما يقوم بتلك الدولة صاحب الأمر (عليه السلام)، ومن الطبيعي فإن البحث هنا يحتاج إلى تأصيل، وتوضيح، وتأسيس لمفهوم الدولة كدولة من وجهة سياسيّة، سواء كان كمذهب سياسي، أو طبق الرؤى العلميّة بعلم السياسة التي تحدّد مفهوم الدولة في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) ومؤسّسات تلك الدولة التي يظهرها (عليه السلام).

وهذا بحث لم أشأ أن أتعرّض لخصوصيّاته في هذا اليوم، وإنّما ألزمني التعرّض إليه عنوان البحث باعتبار أنّني أريد أن أقول: إنّ للدولة دوراً بمفهومه العقائدي والسياسي والمذهبي في دولة الإمام، وفي حياة الإمام، وفي رحكة الإمام الخاتم، الإمام المهدي (عليه السلام).

وهذا الدور سوف يؤثّر في رقيّ الإنسانية والتقدم الحضاري للإنسانيّة، ولذلك فعندما تؤسّس تلك الدولة ذات المفهوم المحدّد، والمدلول المعيّن فسوف تهيىء الأجواء والظروف المناسبة لهذا التطوّر، ويعني هذا أنه عندما أريد أن أتحدّث عن هذا التطوّر، فلا بدّ أن أبيّن العوامل والأسباب الواقعيّة والعمليّة لهذا التطورّ وهو وجود تلك الدولة الخاتمة.

أمّا هذا التطوّر وأبعاد هذا التطوّر فسوف نقرؤه من خلال رؤيتين:

الرؤية الأولى: الرؤية الدينيّة المطلقة:

وأقصد بالإطلاق هنا ما يقابل الرؤية الدينيّة الخاصّة التي سوف أتحدث عنها، المختصّة بدولة صاحب الأمر (عليه السلام).

فهناك رؤية دينيّة مطلقة تعبّر عن حقيقة أنه لو توفّرت تلك الدولة، ولو توفّرت تلك الأسس الموضوعيّة فسوف ـ بطبيعي الحال ـ يتحقق القسم الثاني الطردي المرتبط بهذا القسم الأوّل؛ يعني لو كانت هناك دولة إسلاميّة، وكان هناك مجتمع إسلامي وتهيأت الظروف المناخيّة والسياسيّة وغير ذلك من الظروف،

فحينئذٍ لكان الجانب الثاني من المعادلة يتحقّق بشكل طبيعي، وهذا التحقّق هو التقدّم الحضاري.

يعني هناك ترابط بين وجود دولة إسلاميّة ذات أبعاد إسلاميّة مع وجود تقدّم حضاري، وهذا الذي أشارت إليه مجموعة من الآيات الكريمة التي تحدّثت عن هذه الحالة.

ومن جملة تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾[1] هذا الجزء الأوّل من الآية، ثمّ تقول الآية: ﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾[2].

إذن هناك ترابط بين الاستغفار، استغفار الله تبارك وتعالى وبين عملية نزول المطر، وهذا التنزيل الإلهي للمطر تتمّه الآية الكريمة: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾[3].

أنظر الوضع المترابط بين مطر السماء، وبين ضخامة المال، وتداول الثروة، أو بقاء الثروة، أو تكدّس، أو تضّخم الثروة ـ بمختلف التعابير ـ وبين كثرة البنين، وبين أن تمتلىء الدنيا بالجنّات، والجنّات هنا قطعاً لم يكن المقصود بها جنّات الآخرة

---

(١) سورة نوح، الآية: ١٠.
(٢) سورة نوح، الآية: ١١.
(٣) سورة نوح، الآية: ١٢.

وإنّما هي جنّات الدنيا؛ يعني أن تزدهر وتتطوّر وتتقدّم الزراعة في الأرض.

ثم تتحدّث عن الثروة المائيّة بعدما تحدّثت عن الزراعة، وتحدّثت عن الأسرة، وتحدّثت عن عدّة أشياء، فهي تتحدّث عن الثروة المائية فتقول: ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا﴾.

هذه الآية تبين هذه العلاقة والارتباط.

اسمع قوله تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾[1]، هذا هو نفس المنطق، ونفس المفهوم الذي ذكر في الآية السابقة لكن في بُعد آخر، فإنّ تكملة الآية تقول: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾، هذه القوّة ومداليل القوّة، سواء كانت القوّة الجسمانيّة أو القوى الأخرى التي تطهر بظهور هذه الخيرات بواسطة الاستغفار.

إذن برؤية عامّة هناك قضايا مترابطة بعضها مع بعض، مقدّمات ونتائج استغفروا الله، تكون نهضة حضاريّة شموليّة تشمل جوانب متعدّدة من حياة الإنسان، بل تشمل حياة الإنسان ككل، هذا المفهوم العام.

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٢.

الرؤية الثانية: الرؤية الخاصّة

هناك مفهوم خاص بعقيدتنا كإماميّة، نعتقد أن تحقّق الدولة ـ وإن كان هذا يحتاج إلى بحث خاص ـ تحقّق الدولة بكل مواقعها الحقيقيّة لا يمكن أن تظهر خيراتها إلاّ في دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، فكم هناك من حكومات إسلاميّة تسبق دولة الإمام (عليه السلام) ويظهر فيها الخير والبركة، ولكن الحكم الإلهي المطلق وتطبيق الحكم الإلهي المطلق منحصر في دولة صاحب الأمر (عليه السلام).

ولذلك فسوف تكون مظهريّة تلك الخيرات أتم مظهريّة بتحقق دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، وأعلى مستوى من مستويات ارفاهيّة الإنسانية، وأعلى مستوى حضاري تقدّمي للإنسان سوف يكون في دولة صاحب الأمر. هذا في المنطق العام.

ولو أخذنا هذا المنطق من خلال الروايات التي وردت وتحدّثت عن دولة صاحب الأمر وعن تلك المظاهر العمرانيّة والحضاريّة في دولته، مجمل هذا الوضع ـ والحديث يحتاج إلى تفصيل ـ ينشأ ويؤيّد ما طرحناه من عموميّات.

النظرية الغربية:

قبل أن أتطرق لهذه الخصوصيّات الدولة صاحب الأمر، ألاحظ النظرة الغربيّة التي عشناها في بداية شبابنا عندما ظهرت

في العالم العربي وترجمت النظريّات الغربيّة إلى العالم العربي، د والتخوّفات الغربيّة من مستقبل البشريّة في الأرض، التي كان يعبّر عنها بأوضح تعبير في نظريّة (مالتس) الذي تحدّث على أنّ البشريّة متقدّمة نحو الدمار والزوال.

هذا البؤس والتشاؤم في الرؤية الغربيّة للدنيا، وللبشريّة والعالم جعل الغربيّين يتحرّكون لوضع حلول بديلة عن الوقوع في الهاوية، لأنهم يتصوّرون أنّ الخيرات في الأرض محدودة، وذلك هو مجمل هذه النظريّة الغربية التي تزعّمها مالتس في ذلك الوقت، فبما أنّ الأرض تملك خيرات محدودة فلا بدّ أن يكون وجود الإنسان السكاني على الأرض محدوداً بمحدوديّة الأرض.

ومن هذا المنطلق، ومن هذه الفكرة نشأت وبقوّة نظريّة تحديد النسل التي دعا إليها الأوروبيّون الغربيّون في بداية القرن العشرين وما زالوا لحدّ الآن يؤمنون بهذه النظريّة في تحديد النسل، ويدعون إلى تحديد النسل لأجل إيجاد نهاية لهذه التخوّفات وحالة البؤس التي يعاني منها الإنسان الغربي.

وفي هذه الرؤية ترى البشريّة في حالة دمار، وفي حالة هاوية، وفي حالة شقاء؛ وهذه البشريّة لا يمكن علاجها إلاّ بأخذ مسكنات أوّلية، وجرعات لهذه المسكّنات لإيقاف التزايد السكّاني إلى مقدار يمكن للأرض أن تتحمّله.

ويقابل هذه النظريّة النظريّة الدينيّة الإسلاميّة، التي تؤمن أنّ الأرض فيها من الخيرات الشيء الكثير، وأنّ ما نراه من الخيرات على هذه الأرض لم يكن كل خيرات الأرض، فهذه الأنهار لم تكن كل قابلية الطبيعة لإغناء الإنسان بالثروة المائيّة، وكذلك السماء لم تكن قابليتها فقط هذه الزخّات من المطر. . وهكذا بالنسبة للمعادن، وهكذا بالنسبة للثروات الطبيعيّة الأخرى.

فإنّ الرؤية الدينيّة تقول: إن ما هو موجود حاليّاً لم يكن كل الثروة، ولم يكن كل الخير، ولم يكن كل البركة، بل إنّ الأرض فيها من الإمكانيّة حتّى تكفي أبناءها البشر لو كانوا أضعاف وأضعاف هذا العدد السكّاني الموجود على الأرض، ولكنّ المانع الذي يمنع من إيجاد وظهور تلك البركات هو العوامل الغيبية التي لا يحس بها الإنسان.

تلاحظ أن الفكر المادي عندما يتصوّر أنّ المعادلة كلّها معادلة ماديّة بحتة، ولا يوجد هناك دافع وعامل غيبي يتحكّم بهذه العناصر الماديّة، في الوقت الذي نرىٰ فيه أنّ الدوافع الغيبيّة، والعوامل الغيبيّة لا تنحصر فقط في الآخرة والمعاد ويوم القيامة والعوامل اللامرئيّة، وإنّما ذلك الغيب وذلك العامل الغيبي مؤثّر حتّى في العوامل الطبيعيّة والأسباب الطبيعيّة.

فإن الأية الكريمة التي قرأناها توضّح أن هناك تواصلاً

وتلاحماً بين العامل الغيبي ـ الاستغفار، ذكر الله، وأن ينطلق المجتمع انطلاقة ربانيّة ـ وبين التطوّر الحضاري والعمراني والازدهار بكل أنواعه الذي يعيشه الإنسان.

وهذا الشيء كان مفقوداً في الرؤية المادية، وعندما نريد أن ندرسه فلا بدّ أن نبرهن عليه، كان هناك برهان علمي وجداني، وهناك برهان تجريبي.. ولست الآن بصدد البرهنة التجريبية على هذه الحقيقة الدينيّة، وهو يحتاج إلى وقت طويل للحديث عن كل خصوصيّة من هذه الخصوصيّات، وإنّما أشرت إليها إشارة لأنطلق إلى جوانب أخرى من البحث، وهذا الجانب هو عندما أتحدّث عن المخّ والمركز والأساس لتقدّم حضارة الإنسان في دولة الإمام وعصر الإمام (عليه السلام).

بركات الدولة المهدوية:

لو أردنا أن نقرأ الروايات، وهنا بشكل مجمل أوضّح لك حقيقة أنّ التقدّم بدولة صاحب الأمر قد ورد في روايات كثيرة، وسنذكر هنا جملة من تلك الروايات بأسانيد العامة، فإن الروايات التي وردت بأسانيد شيعية كثيرة جداً، ولكن من باب المحاججة نذكر بعض الروايات بأسانيد عامية ـ وهي كثيرة أيضاً ـ لتكون الرؤية أكثر استيعاباً بما هو موجود في المذاهب الأخرى وبما روي عن النبي (صلّى الله عليه وآله).

يقول اخواننا السُنّة في كتبهم وهم يتحدّثون عن دولة المهدي (عليه السلام):

من جملة تلك الروايات رواية حذيفة بن اليمان عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يتحدّث عن المهدي، والرواية طويلة جدّاً لكن أنقل لك هذا المقطع، يقول (صلّى الله عليه وآله): «... يفرح به أهل السماء والأرض، والطير والوحش والحيتان في البحر، وتزيد المياه في دولته، وتمد الأنهار، وتضاعف الأرض أكلها، وتستخرج الكنوز»[1].

فيفرح به أهل السماء والأرض بمستوىً واحد، فما يشمل أهل الأرض يشمل أهل السماء، وما يشمل أهل السماء يشمل أهل الأرض، وهذا يحتاج إلى رؤية علميّة غيبيّة.

قلنا: الغيب متفاعل في الشهود في الأرض وفي الدنيا، تفاعل السماء التي هي عالم من عوالم الغيب ببعض أوجهها مع الأرض التي هي عالم الشهود، وعالم الظهور، وعالم الواقع والوجدان والحضور؛ وهذا التفاعل الثنائي معه الرواية تقول: «فيفرح به أهل السماء والأرض والطير»، وهذا البعد الآخر، «والوحوش والحيتان في البحر»، وهذا يحتاج إلى حديث يتعلّق

---

(١) عقد الدرر: ١٤٩؛ البرهان: ٧٧/ الباب ١/ ح١٦؛ الإشاعة لأشراط الساعة: ١٧٥؛ مجمع الزوائد ٨: ٦؛ جامع البيان ١٥: ١٧.

عن أثر دولة الإمام المهدي (عليه السلام)، ودور دولة الإمام المهدي (عليه السلام) بتطوّر الحيوان وليس فقط الإنسان.

وأنا لا أُريد أن أُعلّق على نظريّة دارون وأقول أنّ هذه النظريّة في بعض جوانبها كان صحيحاً، لأن هذا يحتاج إلى بحث اختصاصي تفصيلي، قد نوفّق بالمستقبل إليه، والرواية تقول: «وتزيد المياه في دولته وتمد الأنهار وتضاعف الأرض أكلها، وتستخرج الكنوز».

وملخّص هذه الرواية بما يتعلّق مع التقدّم الحضاري والعمراني للإنسان نلاحظ فيها أنها تصرح بأشياء مهمة كثيرة منها: أنّه تزيد المياه، وتمدّ الأنهار، وتضاعف الأرض أكللاها، وتستخرج الكنوز، هذه الرواية مع أنّها وردت في كتب اخواننا أبناء العامّة فإنها تحدّثت عن هذه المظاهر التقدّمية الحضاريّة لدولة صاحب الأمر التي هي من صلب عقيدة الشيعة الإمامية سلمهم الله تعالى.

والرواية الأخرى أيضاً تروى بأسانيد اخواننا عن عبد الله بن عبّاس عن النبي (صلّى الله عليه وآله) يقول عن التطورات التي تحدث في عصر الإمام ودولة الإمام:

«وتأمن البهائم والسباع، وتلقي الأرض أفلاذ كبدها». قال:

قلت: وما أفلاذ كبدها؟ قال: أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة»[1].

وتأمن البهائم، أنظر: (الأمن) هو من المواضيع المهمة، فعندما نتحدّث عن الثروة المائيّة، وعن الزراعة، وعن الاقتصاد فالرواية تتحدّث عن الأمن، وهو أهم معالم من المعالم الفاعلة، والمحرّكة في تقدّم الحضارة الإنسانية، ولم يمكن لأمّة أن تترقّى بلا أمن، فقال (صلّى الله عليه وآله): «وتأمن البهائم والسباع»، أي أن هذا الأمن الذي تتحدّث عنه الرواية لا يختص بالبشر فقط، وإنما يشمل حتّى البهائم.

ثمّ قال: «وتلقي الأرض أفلاذ كبدها»، فيسأل عبد الله بن عبّاس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ويقول له: وما أفلاذ أكبادها؟ قال: «أمثال الاسطوانات من الذهب والفضة»، أنظر إلى عبارة: (اسطوانات)، فهكذا سوف تخرج الخيرات لأهل الدنيا كما في هذه رواية.

والرواية الأخرى التي تحدّثت عن هذا الجانب، مع العلم أنها روايات كثيرة جدّاً ولا يمكن في الواقع ذكرها جميعاً لكنّني أعنون الحديث بما يناسب المقام.

---

(١) المستدرك للحاكم ٤: ٥١٤، رواية وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه (أي البخاري ومسلم).

والرواية يرويها أبو سعيد الخدري عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأسانيد اخواننا العامّة، قال (صلّى الله عليه وآله):

«ينزل على أمّتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشد منه، حتّى تضيق بهم الأرض الرحبة، وحتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً، لا يجد المؤمن ملجأ يلتجىء إليه من الظلم، فيبعث الله عزَّ وجلَّ رجلاً من عترتي فيملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء واسكن الأرض، لا تدّخر الأرض من بذرها شيئاً إلاّ أخرجته ولا السماء من قطرها شيئاً إلاّ صبّته منها»[1].

أُنظر إلى أثر الدولة التخريبي، فإذا كانت الدولة مخرّبة فكيف تؤثّر سلباً في حياة الإنسان، والمجتمع وفي حياة الإنسان الفرد؟ فحقاً أن الدور التخريبي في حياة الإنسان هو من تخريب الدولة، وهو من يقابل الدور الفاعل الإيجابي في حياة الإنسان، والعمراني والتقدّمي في الدولة الخيّرة.

وبالطبع فكما قلت سابقاً أنّ هذه الروايات كثيرة وإنّما أخذت عينة منها فقط لما يناسب المقام، كي أرشد إلى جوانب متعدّدة من التقدّم الذي يظهر في دولة الإمام.

---

(١) المستدرك للحاكم ٤: ٤٦٥، رواه وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ أي البخاري ومسلم ـ؛ راجع أيضاً كنز العمال للمتقي الهندي ١٤: ٢٧٥/ ح٣٨٧٠٨.

وهذا التقدم لم يكن كيفياً، وإنّما هو طبيعي، أي بالقوانين الطبيعيّة وليس بالإعجاز وليس خارق العادة، بل بالقوانين الطبيعيّة وسوف يتم هذا التطوّر عندما تفتح السماء أبوابها وعندما يكون الإنسان مؤهّلاً لنزول الخيرات.

ونلاحظ من مظاهر التقدّم في دولة الإمام (عليه السلام) إنّ أوّل شيء يقف أمام ناظرنا من هذا التطور هو مسألة المياه، ونحن نعيش الآن في هذا العصر، مسألة المياه التي هي مشكلة العصر، وإن مشكلة القرن الواحد والعشرين هي مشكلة المياه، والمتوقّع كما تسمعون من الإعلام والاختصاصيين الذين يبحثون عن هذه المشكلة العويصة، إن هذه المشكلة غير محصورة بالثروة الزراعيّة، أو مسألة مهمّة بما تتعلق بحياة الإنسانية، بل انعكاسها على الوضع السياسي العالمي، فإنّ الحروب المتوقّعة في المستقبل في هذا القرن يكون منشؤها هو قلّة المياه، لأن هناك جدباً سوف يؤثر على واقع الحياة في الأرض. ويفسّر بعضهم هذه الحالة بعنوان أنّ الأرض ابتدأت ترتفع حرارتها، فربّما ارتفع درجة حرارة الأرض ـ بحسب التقارير العلمية نصف درجة إلى درجة ممّا يسبّب هذا الارتفاع الجدب الذي تمرّ به الأرض بشكل عام.

فإنّ من أهم مشكلات العصر الحاضر هي مشكلة المياه،

فنحن الآن وإن كنا نعيش في بلاد الرافدين وقد أبعدنا الباري عن هذه المشكلة، إلاّ أنكم لو نظرتم إلى بقية دول العالم لرأيتم هذه المشكلة بوضوح، فهي الآن تُعد إحدى المشاكل الخطرة في مباحثات السلام بين لبنان وسوريا من جهة وبين إسرائيل من جهة أُخرى تحت عنوان تقسيم الثروة المائيّة. فمسألة المياه مسألة سوف تدخل في السلم العالمي فضلاً عن دور المياه فيالزراعة ودور المياه في الاقتصاد، ودور المياه في حفظ حياة الإنسان.

كل هذه الحلول ـ كل الحلول التي تقدّم ذكرها وغيرها ـ على نمطين:

النمط الأساسي عالمياً: أنّ المرتكز العالمي لإيجاد الحلول هو الحلول السياسيّة، ويتحدد بتقسيم الثروة المائيّة كما حدث في المؤتمر الأخير الذي عقد في أفريقيا لتقسيم ثروة مياه نهر النيل.

فهذا الموضوع موضوع دولي لتقسيم المياه، لكن هذا التقسيم وهذا الحل هو حلّ مؤقّت، فإنّه سوف يوفّر لهم فرصة أخرى للعيش في مياه أقل، ولكن سوف تبقى عندهم مشكلة يعانون منها في تصورّهم وهي أنّ الأرض قادمة على جفاف كلّي، وهذا الجفاف مؤثّر في حياة البشريّة ككل، ولذلك يحاولون أن يجدوا حلولاً طبيعيّة أخرى يستغنون بها عن تلف وإتلاف هذا المقدار من المياه، ولم يفلحوا لحدّ الآن إلا من

جانب واحد، وهو جانب الخيال العلمي؛ وأمّا الانطلاقة الأخرى العمليّة والواقعيّة التجريبيّة، فإنه لم يتوصّل الإنسان لحد الآن إلى تجربة عملية لتوفير المياه.

أما عندنا نحن الشيعة الإمامية فإن الحال موجود في دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، ذلك لأن السماء سوف تمدّنا بمطر غزير، وأنّ الأرض يفجّر الله فيها عيوناً وأنهاراً، وهذه الخيرات التي سوف تكون في هذه الأرض لم تكن على نحو إعجازي وإنّما تناسبي، فلو فهمنا المعادلة التناسبيّة فحينئذٍ سوف نفهم التقدّم الذي يحصل في دولة صاحب الأمر.

أنظر إلى بعض القضايا التي تطرح على مستوى الخيال العلمي، وكما يقال وكما ترون، وبما يذكر في هذا الصدد، فإنّ أثر الخيال العلمي في الوصول واضح في اختراع الآلات المتطورّة، ولا أُريد أن أتطرّق لهذا الموضوع وليس من اختصاصي، وإنّما استشهد به لتوصيل الفكرة، وهي: ربّما أنا وأنت نقرأ بعض الروايات، وربّما لا نستوعب حدود هذه الرواية، فمرّة نوكلها إلى الإعجاز، ومرّة نوكلها إلى ظروف لم يتوصّل إليها الإنسان.

أنا أقول لك بصراحة أن القوانين الطبيعية التي اكتشفناها لحد الآن كبشر، والقوانين والتطوّر الطبيعي فضلاً عن التطوّر العمراني

والحضاري الذي وصل إليه الإنسان، لم يكن كل اكتشافاته، يعني أن القوانين التي اكتشفناها حاليّاً لم تكن كلّ القوانين التي تملكها الطبيعة، وإنّما هناك قوانين أخرى لم يتوصّل إليها الإنسان في مورد الاكتشاف. وقد حاول الإنسان أن يظهرها في رسصائل الخيال العلمي.

وهذا الخيال العلمي، ربّما يكون على الأرض.. ونحن على يقين أنّ هناك كثيراً من القوانين الطبيعيّة التي لم يكتشفها الإنسان حاليّاً وإنّما سوف تظهر ويظهرها صاحب الأمر (عليه السلام)، الذي آتاه الله من العلم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين، فالإمام ليس عالماً بقوانين الشريعة فقط، أو قوانين اللّغة، أو العلوم الإنسانية بشتّى أنواعها وأصنافها، وإنّما الإمام المعصوم (عليه السلام) عالم بكل قوانين الحياة، سواء كانت على مستوى فيزيائي، أو كيميائي، أو أي نوع من أنواع تلك القوانين التي تحكم حياة الإنسان والتطوّر الإنساني.

وعندما يظهر ويخرج كنوز الأرض، فإنّ أحد التفاسير لكنوز الأرض أنه ليس المقصود من هذا الكنز هو الكنز من الذهب والفضّة المادّي فحسب، وإنّما قد يكون ـ والله العالم ـ كما تشير إليه الروايات الكثيرة، وهو أنّ الإمام يظهر مبادىء القوّة، وقوانين القوّة وقوانين القدرة للإنسان، أي يعطيه تلك القوانين

التي يستطيع بها الإنسان أن يوفّر لحياته أفضل العيش، وأهنأ العيش، وأحسن العيش؛ أي أنّ الإمام سوف يوفر للإنسان أشياء كثيرة لم يمكنه أن يحصل عليها من قبل ومن جملة هذه الأشياء التي يوفّرها هي تلك القوانين.

أعطيك رواية واحدة تشير إلى هذا المعنى تحدّثت عمّا يظهر في دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، وهذه الرواية في الخرائج للراوندي، وهو من العلماء الأعلام للشيعة، قد رواها عن الإمام الصادق عن أبيه الباقر (عليه السلام) قال:

«إذا قام القائم بمكّة وأراد أن يتوجّه إلى الكوفة نادى مناديه: ألا لا يحمل أحد منكم طعاماً ولا شراباً، ويحمل معه حجر موسى الذي انبجست منه اثنتا عشرة عيناً، فلا ينزل منزلاً إلاّ نصبه فانبجست منه العيون، فمن كان جائعاً شبع ومن كان ظمآناً روي، فيكون زادهم حتى ينزلوا النجف من ظاهر الكوفة، فإذا نزلوا ظاهرها انبعث منه الماء واللّبن دائماً، فمن كان جائعاً شبع ومن كان عطشاناً روي»[1].

علماً أن عدد الجيش هو عدد ضخم، إذ أن قادة الجيش عددهم (٣١٣) قائداً، وقد ورد في بعض الروايات أن كل قائد

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٦٩٠.

يشد له الإمام (عليه السلام) راية على عشرة أو اثني عشرة ألف أو يزيدون، فكم مليون يكون عدد جند صاحب الأمر (عليه السلام)؟ وهذا العدد يعطيك حالة تفاؤليّة لمن يكون معه (عليه السلام) من حيث الكم، والأمل أن نكون ضمن هذا الكم.

إعجاز الإمام المهدي (عليه السلام):

هذا المنطلق ربّما نفسّره تفسيراً إعجازياً.

فالمعجزة على نوعين:

النوع الأوّل: تبقى دائماً إلى أن يأتي الله سبحانه وتعالى بعلمه، أي تبقى خارقة لقانون الطبيعة، يعني على الدوام والاستمرار.

النوع الثاني: هناك نوع من المعجز يكون نسبياً، مثل السحر الذي كان في عهد موسى (عليه السلام) يقال إنّ هذا السحر إعجاز لم يكن خارقاً للعادة، وإنّما نسبي بما عجز عنه السحرة في عصره، والمقصود من النسبيّة هنا هو أن هناك في الطبيعة قوانين لم يتوصّل إليها البشر في ذلك العصر،والنبي بما أوتي من قوّة بالعلم والمعرفة يستخدم قوّته العلميّة وعلومه التي لم يعرفها باقي البشر لإظهار ذلك الخارق، وحينئذٍ لو سئل: من أين لك هذا العلم؟ فإنه سيقول: من الله سبحانه، باعتبار أنّ الله هو الذي علّمه هذا القانون، ممّا يؤيّد ويؤكّد إعجاز ذلك النبي على نبينا وآله وعلى جميع الأنبياء آلاف التحيّة والسلام.

هناك في حياة الإمام ربّما يقال نوع من هذا الإعجاز، يعني هناك إعجاز ربانّي لا إشكال فيه، وكما جرى على يد سائر الأنبياء فإنه سوف يجري على يد الإمام المهدي (عليه السلام).

وهناك إعجاز سبقي، بمعنى تقدّم علمي حصل عليه الإمام لم يحصل عليه السابقون قد يكون من ذلك حجر موسصى (عليه السلام)الذي يكون مع المهدي (عليه السلام).

وهذا الموضوع مهم، ودقيق، ولا أريد أن أخوضه بكل تفاصيله، وإنّما بالشكل السريع من أجل إيصال الفكرة، وأمّا الخصوصيّات، فيمكن أن نناقش فيها للتوصّل إلى رؤىً صحيحة تنسجم مع العقيدة الصحيحة.

وأريد أن أقول إنّ هناك تقدّماً حضارياً علمياً يسبق الخيال العلمي الموجود حاليّاً، ويطبّق أو ينفذ كثيراً من النظريّات الخياليّة العلميّة، فيكون تطبيقها في دولة صاحب الأمر (عليه السلام).

وهذا السبق يؤثر في تقدم الزراعة، كما قرأت هذه الآية، إضافة إلى ما تحدّثت به الروايات من أنّ الله يجعل الأرض في دولة صاحب الأمر خضراء، فهذه الجزائر والصحاري التي نراها، مثل جزيرة العرب، أو جزيرة العراق، أو غير ذلك من

الصحاري الواسعة في الأرض سوف تتحوّل إلى جنّات وعيون تمتلىء بالخضرة، والخضرة التي تفيد الأرض، كما أنّ هنالك خضرة تفيد حياة الإنسان تعبّر عنها الرواية التي قرأناها عنه (عليه السلام) أنّ هذه الأكل: «وتضاعف الأرض أكلها» حتّى النوع سوف يختلف ويتكثّر.

إن هذا السبق أيضاً ربّما كان للتأكيد على حدوث أشجار تحمل الأثمار التي لم تكن معروفة في زمان الأئمّة (عليهم السلام).

وعلى كل حال، فإن كل هذا إنما هو في عصر الإمام (عليه السلام) وفي عهده بالنسبة للزراعة، وبالنسبة للمياه، فإنه قالت الروايات أنّ هناك مياهاً وأنهاراً جديدة سوف تشق في الأرض تلك الأنهار، كما وأن الإمام (عليه السلام) سوف يشق نهراً من كربلاء إلى النجف[1]. يعني أنظر إلى هذه الصحراء التي تراها حاليّاً ما بين كربلاء وما بين النجف فإنها سوف يحييها الإمام (عليه السلام) مرّة أخرى.

وكل هذا التقدّم سوف تمر به البشريّة في عصر الإمام.

والإمام الصادق (عليه السلام) عندما ذكر هذه المناظر، إنّما

---

(١) أنظر: الإرشاد للمفيد ٢: ٣٨٠؛ كتاب الغيبة للطوسي: ٤٦٨/ ح٤٨٥.

تحدّث عنها لأنها كانت معروفة ومتصورة لمعاصريه، ولكنه لم يتحدّث عن المناظر الأخرى غير المعروفة لمعاصريه وليس عدم ذكره لها لأنها لم يشملها التقدّم، بل سوف يشملها، ولكن لسبب آخر وهو: لأنّ الرواة كانوا ربّما لا يعرفون إلاّ أبعاداً ضيقة عن المناطق الجغرافيّة التي يعيشون فيها أو التي يمرّون بها.

البعد الاقتصادي:

إذا أردنا أن نرى التقدّم الاقتصادي في دولة الإمام فنلاحظ أثر المال في الاقتصاد ـ اقتصاد الدولة، واقتصاد المجتمع، واقتصاد الفرد ـ وإلى أثر المال في التطوّر والتقدّم بما يعني له من البعد الاقتصادي في تطوّر حياة الإنسان.

وعندما نقرأ الآن في كتب الفكر الماركسي فإننا نجدها تتحدّث عن أنّ العامل الأوّل والأخير في التطوّر الحضاري عند الإنسان هو العامل الاقتصادي، فيأتيك الإسلام فيجعل هناك عوامل متنوعّة للتطوّر، أهمها العامل الاقتصادي.

أما كيف يمكن لهذا التطوّر الاقتصادي توفير الحياة الهانئة والحضارة لتقدّم الإنسان؟ فهذا بحث بنفسه يحتاج إلى حديث مستقل لا أخالني أتمكّن من الحديث عنه حالياً، لضيق الوقت.

ولكني أريد أن أقول: بأن هناك شعباً كثيرة من الحديث عن

حضارة الإنسان في دولة الإمام، وهذا التطوّر الحضاري من حيث المدن وترتيبها وتطورها، أي الجانب العمراني في المدينة وأثر المدينة، وبناء المدينة في دولة صاحب الأمر (عليه السلام).

وكل واحد من هذه المفردات التي طرحتها والتي لم أطرحها، مثل الجانب الأمني، والجانب العسكري، ولحاظ بناء المدن، والتقدّم العمراني، ولحاظ التقدّم في الصناعات، والتقدّم في التكنلوجية، وكل شيء، وكل هذه مسائل تحتاج إلى حديث مفصّل.

وهناك تقدّم يحدث في الإنسان نفسه، أي في قدراته العقليّة، وفي إدراكات الإنسان بما يحدث فيه من تطوّر آخر، أمّا كيف يتم هذا التطوّر في قدرات الإنسان، والفرق بينه وبين التطوّر الذي يحدث في الآلة، أو في التقدّم التكنلوجي والتقدّم الذي يحدث على الأرض، فهذا يحتاج إلى حديث آخر، أسأل الله التوفيق لي ولكم.

الأسئلة والأجوبة

السؤال الأوّل:

سماحة السيد تحدّثتم أنّ هناك عدّة دول إسلاميّة تسبق دولة الإمام (عليه السلام)، ما هي فائدة هذه الدولة الإسلاميّة إذا كان تحقّق العدل المطلق محصوراً في دولة الإمام (عليه السلام)؟علماً أنّ هناك من المراجع من لا يرى قيام دولة إسلاميّة في الوقت الحاضر؟

الجواب:

السؤال ينشعب إلى قسمين:

القسم الأوّل: ما هي فائدة وجود دون إسلاميّة قبل دولة صاحب الأمر؟

والجواب: من خلال البحث والحديث توضّح أنّ تلك الدول التي تكون قبل صاحب الأمر تكون قوّتها وقدرتها على تنفيذ الإسلام محدودة، بمعنى أن القوّة فيها محدودة سواء كانت أسباب تلك المحدودية تعود لظروف دوليّة أو سواء كان لظروف

اقتصاديّة تجبر هذه الدولة على أن يكون تأثيرها محدوداً، أو أمور أخرى.

والإنسان المنطقي والعلمي يتوصّل إلى أنّ القدرة في تلك الدول لا تجعلها أن لا تحكّم الإسلام عمداً، فضلاً عن أنّ الإنسان الحاكم إذا لم يكن معصوماً بطبيعته يكون معرضاً للخطأ.

ولكن فائدتها تمثّل جزءاً من الخير، فإنّ الخير القليل خير من لا خير، فالخير النسبي وإن كان محدوداً فهو خير، وأمّا عندما أقول: إسلاميّة، لا أقصد بهذا المصطلح إعطاء نمط خاص وهو النمط الإسلامي، يعني (الدولة الفلانيّة إسلاميّة) ولا أقصد من هذه التسميات التي تطلق على بعض الدول من الناحية الرسمية، وإنّما أقول معنى تطبيق الإسلام النسبي بما تهيئه الظروف، وبتعبير الإمام الخميني ومؤسّس الدولة الإسلاميّة في إيران ـ كما تعلمون ـ كان يقول: نحن لحدّ الآن لم نطبق الإسلام كلّه وإنّما نسعى لتطبيق الإسلام، وأمّا الإسلام كلّه فسوف يطبق في دولة الإمام المهدي (عليه السلام).

القسم الثاني: وهو أنّ بعض المراجع لا يؤمنون بوجود حكومة إسلاميّة.

فالصحيح: ليس أن بعض أولئك المراجع لا يؤمنون بحكومة

إسلاميّة، بل أنهم لا يدعون للوجوب، يعني لا يجب عليك أن تسعى وتجاهد وتقاتل من أجل إقامة دولة إسلاميّة.

هذه رؤية فكريّة تحتاج إلى وقفة، ومن الطبيعي أن هناك فقهاء قد يؤمنون بعدم هذا الوجوب، أمّا لو وجدت الدولة الإسلاميّة فلا يسمونها دولة غير إسلاميّة ولا يسمّونها ـ أعوذ بالله ـ مثلاً دولة منافقين أو دولة كفار إلى آخره، وإنّما دولة إسلاميّة، نعم لم تتوافر تلك الدولة على تلك الشروط المطلقة الموجودة في دولة الإمام المهدي (عليه السلام)، لأنّ الإنسان المطلق والكامل يحقق ذلك الأمل في دولة صاحب الأمر (عليه السلام) فقط.

السؤال الثاني:

سماحة السيد الموسوي، يبشّرنا بعض المراجع بأنّ هذا الزمان إن شاء الله زمن ظهور الإمام (عليه السلام)،فما رأيك؟ ولكننا شباباً نتطلّع لظهوره فما هو دورنا في هذا الأمر، وكيف يكون الاستعداد والمشاركة في دولة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

السؤال الثالث:

هل لنا دور في تعجيل أو تأخير ظهور الإمام؟ وما هي الأمور التي تساعد على ظهور الإمام؟ وما هو دور المرأة في تعجيل ظهور الإمام؟ وما هو دور الشباب في تعجيل ظهوره (عليه السلام)؟

السؤال الرابع:

هل هذا الاحتلال الذي عمّ العراق له دور في تعجيل ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)؟ وهل تعتبر هذه الحروب العلامات في تعجيله؟ وما هو دورنا في هذا الظرف؟

الجواب:

بطبيعة الحال كل واحد من هذه الأسئلة يحتاج إلى وقت كامل للحديث عنه، أما بشكل مختصر:

نحن كمؤمنين سواء الرجال منا أو النساء مكلفون ـ والكل مكلف ـ أن نسعى بالتهيؤ لصاحب الأمر، والسعي مرّة على نحو الفرد والشخص، ومرّة على نحو المجتمع والشكل العام، وتهيئة الأمّة، وتهيئة الفرد.

والوظائف الشرعيّة محدّدة، وكل إنسان يحدّد وظيفته الشرعيّة، أوّلاً ينطلق من تزكية النفس وتهذيب النفس إلى أن يملأ ذهنه وعقله بالرؤى والعقائد الصحيحة الإيمانيّة، خصوصاً في عصر الفتن، كما نقرأ في الروايات أنّ عصر ما قبل الظهور عصر الفتن، خصوصاً الفتن العقائديّة، ويفترض في كل واحد منّا أن يتهيأ للدفاع عن عقيدته والعمل بوظيفته الشرعيّة، أمّا في بناء المجتمع الصالح وإمّا في بناء الأمّة الصالحة الممهّدة لصاحب الأمر.

وهناك تمهيد واع بوجود قوي قادرة على أن تساند الإمام (عليه السلام)، وهذه كلّها ظروف يحتاج الحديث عنها إلى تفصيل يمنعنا عنه ضيق الوقت.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

الندوة الرابعة

(كلية الطب/ جامعة الكوفة)

الإنسان الكامل في

دولة الإمام المهدي (عليه السلام)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ثمّ الصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، الطهر الطاهر والبدر الزاهر، المنصور المؤيّد والمصطفى الأمجد أبي القاسم محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللّعنة الدائمة على أعدائهم ومنكري فضائلهم أجمعين من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

اللهم ربّنا وفّقنا وجميع المشتغلين واجعله خالصاً لوجهك الكريم إنّك أرحم الرحمين.

الإنسان بين الخلقة والكمال:

عندما نتحدّث عن الإنسان الكامل في عهد الإمام المهدي (عليه السلام) لا بدّ أن نعطي لمحة تمهيدية لشرح هذا الاصطلاح الفلسفي، وما هو المقصود من هذا الاصطلاح، والمداليل التي تؤدّيها هذه الكلمة.

الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في موقع حباه ما لم يحبِ أحداً من خلقه.

نلاحظ في المفهوم الإسلامي الفلسفي للعالم أنّ المركز في الكون هو الإنسان، وأنه المحور الذي يتحرّك عليه كلّ شيء، وإليه يعود الهدف الذي خلق من أجله كلّ شيء، ولذلك عبّر عنه القرآن الكريم بأنّه خليفة الله ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

والإنسان الذي سمّي باسم آدم على نبينا محمّد وآله وعلى آدم آلاف التحيّة والسلام كان المقصود منه هو (الخليفة الإنسان)، وما يعبّر عنه بالنوع والجنس والكلّي، والمقصود من الإنسان الكلّي هو كلّ إنسان، ونوع الإنسان، وليس المقصود الكاشف عن الأفراد الخارجيّة ـ كما يعبّر عنه في علم المنطق الشكلي أو الأرسطي ـ.

فالإنسان الخليفة من حيث الفهم الفلسفي، له دوره في الحياة، المركز الذي يتمحوّر حوله كلّ شيء في الكون.

لذلك فإنّ الله سبحانه وتعالى جعله الخليفة وجعله الواسطة بينه وبين باقي الخلائق والكائنات، فلم نجد نبيّاً غير إنسان، مع أنّ الله سبحانه وتعالى خلق خلائق كثيرة (عالمين)، وإن هذه العالمين هي التي وردت في كثير من الآيات الكريمة، والمقصود منها أي مجموعة العوالم المتنوعّة سواء العوالم الشهوديّة أو

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

العوالم الغيبيّة باختلاف تلك العوالم الشهوديّة والعوالم الغيبية، فإننا لم نجد في جميع تلك العوالم نبياً فيهم من غير جنس الإنسان، لأنّ الخلافة الإلهيّة قد انحصرت في الإنسان ولم يعط تلك الخلافة الإلهيّة لأحد من خلق الله كائناً من كان حتّى لو كان ذلك الخلق جبرئيل، وحتّى لو كان ذلك الخلق الملائكة الكروبيّين، فضلاً عمّا خلق الله من الجن وخلق الله من النسناس ـ كما ذكر في الروايات ـ[1]. وخلق من الحيوانات وخلق من الأشجار وخلق ممّا يرى وممّا لا يرى، فلا يوجد من جميع هذه المخلوقات نبي يوحى إليه، ويتصّل بينه وبين السماء، أو بينه وبين الله تبارك وتعالى مباشرة، أو بواسطة الوحي إلاّ الإنسان.

ويكشف هذا الأمر عن الموقع الربّاني لهذا المخلوق في الكون، فهو المركز الذي يتمحور حوله كل الموجودات في هذا الوجود. ولم يقصد من هذا المركز وهو الإنسان الأنبياء فقط أو الأئمّة (عليهم السلام)، أو الأوصياء، أو المعصومون، وأيّ معصوم من المعصومين (على جميع المعصومين من الأنبياء والأئمّة آلاف التحية والسلام).

ولم يكن هو المقصود الأوّل والآخر فقط، وإنّما المقصود هو الإنسان الكامل الذي خلقه الله تكويناً.

---

(١) لاحظ: بحار الأنوار ٢٤: ٩٤/ الباب ٣٥.

فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق البشر والإنسان على نمطين، وعلى نحوين:

خلق كامل بالتكوين، وهم الأنبياء والمعصومون والأئمّة، ومع ذلك فهم في طور التكامل ويتكاملون، ولذلك فإنّ إبراهيم النبي (عليه السلام) مرّ بمراحل من التكامل بما تجلّى بمقامات التجلّي والظهور في هذا الوجود، ولا أريد أنس أتعرّض لهذه النظريّة بكل تفاصيلها، وإنّما أشيرإليها إشارة لكي أتوصّل لتوضيح المصطلح الذي نريد أن نتحدّث عنه في دولة الإمام المهدي (عليه السلام).

الإنسان إذن على نوعين وقسمين: إنسان معصوم بالذات، خُلق كاملاً، ولكن هذا الكمال كامل نسبي، ولذلك نرى أنّ بعض المعصومين بالنسبة للمعصومين الآخرين يكونون أعلى درجة أو أقل درجة؛ فمثلاً عندنا الأنبياء أصحاب درجات؛ والدرجات تعني أن نسبة الكمال والتكامل في ذلك الإنسان بما ظهر فيه فعندنا أنبياء أكمل من أنبياء إلى أن تصل إلى الأنبياء أولي العزم الذين هم أكمل الأنبياء ثمّ تأتي درجة أعلى من الأنبياء أولي العزم وهو خاتميّة محمّد (صلّى الله عليه وآله)، فدرجته في النبوّة أعلى وأكمل لأنّ إنسانيّته أكمل من باقي الأنبياء.

النظرية الإسلاميّة في تكامل الإنسان:

وهناك حديث طويل في هذا المضمار وهو الحديث عن كامليّة الإنسان الكامل في عالم التكوين، وهذا الحديث يحتاج إلى وقت مفصّل وطويل؛ ولكننا نتحدّث عن نمط التكوين ونمط التكامل في هذا الإنسان، وكيف، ولماذا كانوا هؤلاء، ولم يكونوا غيرهم؟ فهناك عدّة أسئلة تطرح، ويمكن أن تطرح، وتحتاج إلى أوقات لشرح تلك الجوانب.

لكن أريد أن أتعرّض للنوع الثاني من الإنسان وهم باقي البشر:

فباقي البشر خلقه الله سبحانه وتعالى، وحسب النظرية الفلسفيّة في الحكمة المتعالية لصدر الدين الشيرازي المعروف بـ(ملاّ صدرا) صاحب كتاب الأسفار، وهو أرقى ما وصل إليه الفكر الديني والإنساني في تفسير كثير من المسائل الوجوديّة فلسفيّاً، وتوضيح مواقعها في خارطة الوجود على أكمل وأتم أوجه التفسير لتلك التساؤلات.

أُريد أن أقول من هذه النظريّة ـ ولم نجد له معارضاً بين الفلاسفة المسلمين فضلاً عن غير المسلمين ـ هو أنّ الإنسان أوّل ما يخلق لم يخلق من كمال وإنّما خلق من طين لازب ـ كما

يقول القرآن ـ[1] يعني هذا الطين العادي الذي فخره الله سبحانه وتعالى بفخار القدرة.

ولا أُريد أن أتعرّض للحديث عن بداية الإنسان، ومن أي شيء كان الإنسان، وما يذكره دارون وغيره، كما اني لا أريد أن أتعرّض لهذه التفاصيل ورؤية الدين والإسلام بما يطرح على هذا المستوى من الطرح العلمي وغير العلمي.

وإنّما أريد أن أقول أنّ هناك شيئاً اسمه إنسان طيني، وهذا الإنسان الطيني يخلق أوّل ما يخلق في الجوانب الأولى من ظهوره في الوجود بتعبير القرآن ﴿مِن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾[2] ثمّ بعد ذلك يتحوّل إلى علقة، ثمّ مضغة، مخلّقة وغير مخلّقة، ثمّ عظام، فيكسو العظام لحماً فيكون جنيناً في بطن الأم تلجه الروح.

هذا الإنسان الطيني من حيث الكمال لم يملك كمالاً، ولكن فيه قدرة وقابليّة الكمال والترقّي؛ وهذا الكمال والترقّي فيه تعاطف وتناغم بين جنبتي الطينيّة والروحيّة.

وبعد ذلك تظهر الروح وتنشأ الروح في الإنسان في بطن أمّه كجنين ثمّ يكون خلقاً آخر كما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[3].

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١١.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٧.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ١٥.

هذا التناغم الطيني والروحي في بطن الأم، والتناسل، والتبادل يدخل كل واحدٍ منهما في تركيبة الإنسان الكامل؛ أي أن كون الإنسان خلق من هذه الصورة الطينيّة، ومن هذا الدماغ، ومن هذا القوام، ومن هذا الشكل فإنّ له أثره في كمال الإنسان، كما أنّ الذي له الأثر الكبير في كمال الإنسان هو الجانب الثاني وهو الجانب الروحي.

وعندما يولد الإنسان، يقول القرآن: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[1]، ولا أريد أن أتحدّث عن نظريّة المعرفة عند الإنسان، سواء كانت نظريّة المعرفة عند الفلاسفة التجريبيّين، أو الفلاسفة العقليّين، أو غير ذلك ممّا طرح من نظريّات حول نظرية المعرفة، لكنّنا كإسلاميّين ومسلمين نؤمن ـ كما قال القرآن الكريم ـ أنّ الكمال المعرفي عند الإنسان يكون من نقطة الصفر في بطن الأم، فيولد الإنسان وهو خالٍ من المعرفة، خلافاً لمفاهيم ديكارت الذي يؤمن ويحاول أن يبرهن أنّ المبادىء الفطريّة الأوليّة تولد مع الإنسان.

وبطبيعة الحال فإني لا أُريد أن أتحدّث عن كل هذه التفاصيل، ولكن هذه التفاصيل لها أثر كبير في كمال الإنسان.

وعلى كل حال فإن الإنسان يولد وهو لا يملك هذا الكمال، بل

---

(١) سورة النحل، الآية: ٧٨.

تبدأ معارفه الحسيّة ـ وهي أوّل المعارف التي تتكون في عقل الإنسان ـ تظهر من خلال تجاربه مع الواقع الخارجي، ولذلك نعتبر أن المعارف الحسيّة وإن لم تكن هي المعارف الكماليّة للإنسان كإنسان ولكن هذه المعارف الحسيّة تعبّر عن الموجود الأوّل للمعرفة، يعني أنها تشكّل المعرفة الإنسانيّة في بداياتها: من المعرفة الحسيّة ثمّ تتوقى إلى المعرفة العقليّة.

وهذا يعني أننا نختلف مع الحسّيين حينما نقول أنّ المعرفة الحسيّة تترقّى إلى معرفة عقليّة، ونختلف مع العقليين أو الفلاسفة العقليين أو الذين يعبّر عنهم بالمثاليين، سواء في المثالية القديمة أو بالمثالية الجديدة التي بشّر بها الفيلسوف الألماني (هيگل) أو غير ذلك الذي أنكر المعارف الحسية بواقعيتها وفهمها كانعكاسات مثالية فوق قدرات المادة.

وبدون لحاظ لهذه التصوّرات الحسية أو المثالية فإن عمليّة التكامل عند الإنسان تبدأ وتتكامل إنسانيته من خلال ظهور الإنسانية فيه حيث تؤدّي الجوارح والجسم دورها في إعطاء المجال للقوى العاقلة في الإنسان فتتكامل وتصل إلى مستويات أعلى، وتكون هذه المستويات قادرة على أن تخرق العالم الطيني، أو العالم الناسوتي ـ كما يقول الفلاسفة ـ وترتقي إلى عوالم أخرى كعالم الجبروت مثلاً، فيطّلع ويتكامل الإنسان، فيكون في أعلى عليّين وهو في الدنيا.

الغاية من خلق الإنسان:

هذا الموضوع مع أهمّيته يبحث عن الهدف الأساسي لخلقة الإنسان، والهدف هذا هو تكامله فحسب لأن الله سبحانه جعل الإنسان خليفته وعندما يريد أن يكون الإنسان خليفة الله في الأرض فلا بدّ أن يكون بهذا المستوى من الكمال الذي يستحق به أن يكون خليفة لله سبحانه وتعالى في الأرض وفي الوجود، ويعني هذا أن يكون عنده من قوى الإدراك والمعرفة ما يجعله مؤهلاً ومسلّطاً ـ له سلطان ـ على كل الموجودات.

إذن هذا هو المقصود من الإنسان الكامل، وهو المعبّر عنه ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1] وهذه اللاّم لام الغاية، وهنا نحتاج إلى تفصيل وبيان لما هو المقصود من ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾، هل العبادة الحركيّة الظاهريّة، أم هناك حركة الواقع، وهو أن يتحرّك الإنسان بكلّه وبروحه؟

وعلى كلّ حال فإن هذا الهدف الذي خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لأجله، وهو أن يعبد الله سبحانه وتعالى، كما يقول المفسرون في تفسير الآية السابقة: ﴿يَعْرِفُونَ﴾[2] لأنّ العبادة الحقيقية هي عبادة المعرفة.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) لاحظ: تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٤: ٢٥٥ عن ابن جريح؛ شرح أصول الكافي للمازندراني ٤: ٢٠٨؛ الرواشح السماوية/ المحقق الداماد: ٢٢؛ شرح الأسماء الحسني ١: ١٨٩، و٢: ٢٣؛ فوائد الأصول ١: ٥٥٩؛ اللمعة البيضاء: ٤١١؛ وفي غيرها.

وإن هذه الغاية هي التي يستطيع بها الإنسان أن يتكامل ويكون بمستوى فوق الملائكة وفوق كل المخلوقات، بل يكون المركز الذي تتمحور حوله جميع الموجودات والمخلوقات.

وإن هذه الغاية، وتحقيق هذه الغاية هي غاية الأنبياء (عليهم السلام) على مرّ التاريخ، فإنّ الله بعث الأنبياء والرسل من أجل أن يوصلوا الخليقة للكمال الذي يستطيعون به أن يعبدوا الله تبارك وتعالى حقّ عبادته ويعرفوا الله تبارك وتعالى حقّ معرفته، وهذه المهمّة هي من مهمّة الأنبياء الأساسية.

ومن المعلوم فإن مهمّة الأنبياء تتوّج وتنتهي بمهمّة الوصي الخاتم المهدي المنتظر (عليه السلام)، ولذلك نجد في كل النبوّات التي سبقت نبيّنا محمّداً (صلّى الله عليه وآله) والتي لحقت النبوّة من الوصايات والإمامات التي توالت بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كانت تؤكّد وتبشّر بالمهدي المنتظر (عليه السلام) الذي سوف يحقّق تلك الأمنية الإلهيّة.

أي أنّ الأنبياء وكل نبي له دور يتمّم الدور الذي قبله، إلى أن جاء دور نبيّنا (صلّى الله عليه وآله) وكان هو الدور الخاتم النهائي والذي ابتدأ في أعظم خلقة من خلقات هذا الدور بوجوده الشريف (صلّى الله عليه وآله) وسوف تنتهي هذه الحلقات العظيمة بأشرف حلقة منها بظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

مجتمع عصر المعصومين:

وبقي الإنسان الكامل على مرّ التأريخ مفردات يتحدّث عنها التأريخ، وفي عصر النبي (صلّى الله عليه وآله)، وهو من العصور الشريفة التي حظيت بحضوره (صلّى الله عليه وآله) وحضور أئمّة ثلاثة هم: الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) والإمام الحسن والحسين (عليهما السلام) إضافة إلى الصدّيقة الكبرى فاطمة (عليها السلام)، ولكننا نجد البشريّة لم تكن مؤهّلة لتحظى بالكمال التام فتكون هذه البشرية هي الإنسان الكامل، فلم نحس أنّ المجتمع المدني الذي عاصر النبي (صلّى الله عليه وآله) (وأقصد بالمجتمع المدني ما نسبته إلى المدينة المنورّة على ساكنها ومشرّفها أفضل الصلاة والسلام) والإنسان المدني ومع وجود النبي (صلّى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) لم يملك مفردات وجود الإنسان الكامل إلاّ بأفراد معدودين.

ولذلك فإننا نعدّ من أفراد الإنسان الكامل أفراداً قلائل من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الذين وصلوا إلى مرحلة عظيمة من الكمال بحيث تخدمهم الملائكة، كما في الرواية «سبعة بهم تمطرون وبهم ترزقون»[1] يعني أنّ الله لأجلهم ينزل

---

(١) روى الشيخ المفيد في الاختصاص بالإسناد إلى عليّ (عليه السلام) أنه قال: «ضاقت الأرض بسبعة بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون منهم سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة رحمه الله»، وكان

المطر ولأجلهم يعطي الرزق للعباد، وذكر من جملتهم سلمان والمقداد وعمّار وأبا ذر، وهؤلاء وصلوا بالكمال لهذا المستوى العظيم، ولكن مع هذا المستوى العظيمالذي وصلوا إليه من كمال لم يكونوا جميعهم بهذا المستوى، أي لم يك جميع من حضر بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بهذه الدرجة، وهذا موجود في قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾.

يعني أنّ هذا المجتمع مع وجود النبي، وأنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) اشتغل لأجل نقل هذا المجتمع إلى هذاالمستوى ولكنه لم يستطع أن ينقل المجتمع ليصل إلى مستوى الكمال الذي يثبته على الحق فلا يضرّ إنسانه موت النبي (صلّى الله عليه وآله) أو بقاؤه لأنه كانت نسبة الإنسان الكامل فيه نسبة كليّة ونسبة ظاهرية.

مجتمع عصر الظهور:

ولكن سوف تتحقّق هذه النسبة في مجتمع الإمام المهدي (عليه السلام)، لا لأنّ المهدي وحده سوف يقدر على ما

عليّ (عليه السلام) يقول: «وأنا إمامهم، وهم الذين صلّوا على فاطمة (عليها السلام)».

ورواه الكشي في (رجاله): ٣٣، ورواه الصدوق في الخصال: ٣٦١/ باب ٧؛ وفرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره: ٥٧٠/ في تفسير سورة (الضحى)/ تحت الرقم الخاص ٥/ وتحت رقم ٧٣٣؛ والأردبيلي في جامع الرواة ١: ١٨٢؛ والسيد عليّ بن معصوم في الدرجات الرفيعة: ٢٠٩، وفي: ٢٨٥؛ والسيد بحر العلوم في (رجاله) ٣: ٣٤٤؛ والمجلسي في البحار ٢٢: ٢٠٩.

لم يقدر عليه باقي الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام)، وإنّما لأن الإمام المهدي (عليه السلام) شاءت إرادة الله أن يكون الخاتم الذي تظهر على يده المقدسة نتائج جهود جميع الأنبياء في دولته، وتظهر جميع مظاهر الجهاد والجهود التي قام بها الأنبياء والأوصياء في دولته، وسبب هذا أنّ تكامل الإنسان الكامل يحتاج إلى جهود، وتظاهر فجهود كبيرة لا يمكن أن تتحقّق من حيث التكوين ـ ليس من حيث التشريع ـ إلاّ في دولة صاحب الأمر (عليه السلام).

ولذلك سوف تكون نسبة وجود الإنسان الكامل على نحوين:

فهناك نظريّة تقول بؤنّ النسبة سوف تكون تامّة، وهو المعبّر عنه بالمجتمع المعصوم، ويمكننا أن نتحدّث عن الإنسان الكامل الكلّي في مجتمع إنساني كلّي، وهو مجتمع المهدي (عليه السلام).

فهذه النظريّة تقول إنّ مجتمع الإمام المهدي مجتمع معصوم، ولكنها تحتاج إلى بحث لست أنا الآن بصدد هذا الموضوع، لأنّ هذا الموضوع يحتاج إلى بسط في البحث ووقت لتفصيل المجتمع المعصوم في دولة الإمام المهدي (عليه السلام).

ولكن هناك نظريّة أخرى أيضاً تقول إنّ المجتمع في عصر

الإمام المهدي (عليه السلام) وإن لم يكن كلّه معصوماً، ولكن بالنسبة إلى الأغلبيّة من المجتمع سوف تكون فيه حالة العصمة، بمعنى أنّ أغلب المجتمع، أو أنّ النسبة العامّة في مجتمع الإمام المهدي (عليه السلام) يكون فيها قد تحقّق فيه عنصر الإنسان الكامل.

وبالطبع فهم يبقون مختلفين في درجات الكمال، فإن الناس وإن وصلوا إلى مرتبة الإنسان الكامل بشكل عام ـ بحسب هذه النظرية ـ وليس بالمعنى الجوهري التام الذي ينكشف انكشافاً كلّياً على جميع الأفراد، ولكنه مع ذلك فإنّ هذه النسبة سوف تكون مختلفة أي ـ بتعبير المناطقة الشكليّين ـ مشكّكة، وليست متواطئة، بمعنى أنها ليست على مستوىً واحد، وإنّما هي على مستويات مختلفة، بمعنى أنّ مستويات الناس وإن وصلوا إلى مرتبة الإنسان الكامل إلا أنها يمكن تشبيهها بتفاوت درجات الأنبياء، فعندنا (١٢٤) ألف نبي وكل نبي عنده وصي أو أكثر من وصي، ومع هذا فهم مختلفون في مراتب الكمال فيما بينهم فكذلك في مجتمع الإمام المهدي (عليه السلام) فإنه سوف يكون الإنسان الكامل مختلفاً من حيث رتبة الكمال فيما بينه وبين غيره من أفراد.

مظاهر الكمال:

وكنت فد أردت أن أتحدّث عن هذه المظاهر بتفصيل أكبر، لكن وللأسف الشديد أنّ الوقت أخذني وأدركني، ولذلك فأنا سوف أتحدّث عن مظاهر هذا الكمال، وكيف نلاحظ هذا الكمال؛ بما يسعفني به الوقت.

التكامل يشمل التكامل العضوي، والتكامل الروحي، فكما هناك تكامل روحي فإن هناك تكاملاً عضوياً.

وهذه النظريّة تحتاج إلى تفصيل، وبحث طويل حول أن تكون العلاقة العضوّية والروحيّة متكافئة، أو تكون بينهما حالة تبادل في الكمال، يعني ما هو أثر الجانب الروحي على الجانب العضوي؟ وكيف يمكن للإنسان إذا ترقّى روحيّاً أن يؤثّر حتّى على قوته ـ بنوع ما من التأثير ـ وعلى جسمه؟ وهذا الكمال الجسمي يكون بمستكمل، بحيث تملك قواه أيضاً نوعاً من أنواع الكمال.

وهذا الموضوع جدّاً مهم، وإنه يطرح حاليّاً على عدّة مستويات سواء على مستوى الفلسفات الشرقيّة، التي هي معروفة بالبوذيّة وغير البوذيّة، أو الفلسفات الجديدة في الغرب وهي الفلسفات الروحيّة، وهو الذي يعبّر عنه الباراسايكولوجي ويتحدّثون عن أثر القوى الخفيّة التي توجد في واقع الإنسان،

وعلى الجانب العضوي في الإنسان، وليس فقط السكيلوجي وإنّما الجانب العضوي في الإنسان.

فهناك أثر حقيقي موجود في الواقع، وهذا الأثر كيف يوجد؟ وكيف يمكننا أن نتوصّل إليه؟ فهذا يحتاج إلى حديث مختصّ به.

ولكن هناك وعندما نقرأ الروايات عن إنسان دولة صاحب الأمر (عليه السلام) فإننا نجد إنساناً يملك من القوى العضويّة ما لا يملكه إنسان آخر.. أعطيك مثالاً: العاهات والأمراض والعلل التي تصيب الإنسان، فعندنا في رواياتنا عن أهل البيت (عليهم السلام)، وهذه الروايات موجودة أيضاً في كتب العامّة من اخواننا السنّة كما هي موجودة في كتب الشيعة، فلم نختص نحن بروايتها، وإنّما هي موجودة في كتب جميع المسلمين، وتقول هذه الروايات أنّ الإنسان ـ إنسان دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ يبرأ من العاهة، ويبرأ من الضعف البدني، ويبرأ هذا الإنسان من الأمراض والعلل.

فكيف يمكن لهذا الإنسان أن يبرأ من هذه العاهات، وهذه النواقص البدنيّة في جسمه؟! توجد له عدّة تفاسير..

ربّما يفسّره البعض على أساس غيبي، فيقول أنّ هناك أمراً إعجازياً أو أمراً ربّانياً، شاء الله تبارك وتعالى ـ المشيئة وهي الإرادة التكوينيّة فيه ـ أن يكون هذا الإنسان المعاصر

للمهدي (عليه السلام) بهذا المستوى من القدرة والقوّة البدنية، هذا هو التفسير الأوّل.

لكن هذا التفسير لا نهضمه، لسبب هو أن الله تعالى أجرى قانون الطبيعة في حياة الإنسان في زمان النبي (صلّى الله عليه وآله) وقبله وبعده، ولم تذكر الروايات أنّ هذه الحالات التي سوف يتوصّل إليها الإنسان في دولة الإمام بسبب أمر غيبي.

مثلاً: من جملة تلك الروايات ما روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): «من أدرك قائم أهل بيتي من ذي عاهة برىء ومن ذي ضعف قوي»[1]، فإنك تلاحظ الرواغية تتحدّث عن أنّ من به عاهة جسميّة قبل دولة صاحب الأمر فإنها في دولة صاحب الأمر تبرأ بشكل غير إعجازي، وبشكل تكويني، وبشكل طبيعي، وبشكل تجريبي داخل تحت التجربة وداخل ضمن قوانين الطبيعة، وكذلك في الضعف. وهذه هي رواية واحدة من تلك الروايات.

والرواية الأخرى عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه عليّ بن الحسين (عليه السلام) أنّه قال: «إذا قام القائم أذهب الله عن كل مأمن العاهة وردّ إليه قوّته»[2].

وهذه القوة هي نفس القوّة التي ذكرت في الرواية السابقة.

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٨٣٩؛ بحار الأنوار ٥٢: ٣٣٥/ ح٦٨.
(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ٣١٧/ الباب ٢١/ ح٢.

وتلاحظ في هذه الروايات زوال الضعف وزوال العاهات، والبرء من العلل، والبرء من الأمراض.

وقد يقال بالوضع التجريبي أنّ المجتمع المهدوي يصل بالتطوّر العلمي في شتّى الوسائل، أو في شتّى مجالات العلوم إلى مستوىً كبير من التطوّر والتقدّم التكنلوجي وغير التكنلوجي بحيث تزول تلك العلل.

ولتوضيح هذه الفكرة نقول: لو أنّ مجتمعنا يعيش في هذا القرن بدايات القرن الواحد والعشرين لو قسناه إلى مجتمع قبل سبعة قرون فسوف نلاحظ نسبة العاهات، ونسبة الأمراض، ونسبة العلل، والظواهر اللاّصحيّة التي كانت موجودة في تلك المجتمعات بنسبة كثيرة جدّاً وظاهرة للعيان، ولذلك كانت تنتشر الأوبئة بشكل سريع وكان الناس في كل سنة يتخوّفون في مواسم معينة ـ خصوصاً مواسم الحر ـ من ظهور الأوبئة، والأمراض مثل الكوليرا أو ما إلى ذلك، أمّا الآن فبالتطوّر العلمي خفت هذه الظواهر اللاّصحيّة بسبب التقدّم، وإن كان الإنسان قد توصّل لاكتشاف خريطة الجسم ـ فرضاً ـ التي يكتشف منها الأمراض المستقبليّة في الإنسان، أو اكتشف أكثر هذه الخريطة للجسم لاستطاع أن يكتشف تلك الأمراض والأوبئة.

وهكذا في زمان الإمام فسوف يتطوّر الإنسان وتظهر كفاءاته،

كما يوجد في إحدى الروايات أنّ الإمام المهدي إذا جاء نشر العلم[1]، وكل علم ولا يختص فقط في علم الدين، وإنّما كل العلوم سوف تنتشر وتكون في أعلى مستوى في دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، ولذلك فسوف تزول هذه الأوبئة بشكل طبيعي وبدون حاجة إلى الإعجاز.

وهذا الرأي والتفسير تؤيّده مجموعة من الروايات:

ومن جملة تلك الروايات التي تحدّثت عن قوى الإنسان الكامل في دولة صاحب الأمر (عليه السلام) ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في صفة أصحاب القائم، ويقصد بأصحاب القائم المجتمع الكامل الذي يحققه الإمام المهدي (عليه السلام) يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «وإنّ الرجل منهم ليعطى قوّة أربعين رجلاً وأنّ قلبه لأشد من زبر الحديد ولو مروّا بجبال الحديد لقلعوها»[2].

فهذه القوّة التي تعطى للجسم، قد لا نملك من وسائل تجريبيّة ما نستطيع بها أن نوفّر هذا المستوى من الطموح في رقيّ الإنسان وتكامل الإنسان، ولكن لو نلاحظ حقيقة أنّ الإنسان يمكنه أن يقوى قدراته عندما يتعرف على الأسباب في قوّته

---

(١) الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٨٤١/ ح٥٩.
(٢) إكمال الدين وإتمام النعمة: ٦٧٣/ الباب ٥٨/ ح٢٦.

الجسميّة ويجد الأسباب في ضمور عضلاته، فإذا افترضنا أن المقصود من هذه القوّة هو فقط القوّة الجسميّة، علماً أنه يوجد احتمال آخر، هو أن تكون له وسائل قدرة أخرى ـ فرضاً ـ بل أكثر وأرقى وأقوى من هذه القوى بالنسبة للإنسان.

إن هذه الروايات التي تحدّثت عن هذا الإنسان في زمان الإمام المهدي (عليه السلام)والذي سوف يتغيّر روحياً وسوف يتغير جسميّاً، وهذا التغيّر الروحي والتغيّر الجسمي نحو الكمال، وهو الكمال المنشود الذي ينسجم من طموح الشريعة وطموح الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) في تكميل الإنسان في أرقى المستويات.

وفي الموضوع تفاصيل كثيرة والوقت أدركنا، نكتفي بهذا المقدار.

نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق لنا ولكم.

وبالنهاية أشكر العمادة، عمادة كلّية الطب على هذه الفرصة، وأشكر مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي (عليه السلام)، والذي هو برعاية آية الله العظمى المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني حفظ الله.

أسأل الله أن تتهيأ فرصة أخرى نوفق فيها لتكملة البحث، لأن الوقت قد أدركنا قبل إكمال البحث بجوابه المهمة.

الأسئلة والأجوبة

السؤال الأول:

ما قول سماحتكم في بعض الدراسات القائلة في المهدي بأنّه ليس بشراً منّا أهل البيت، وإنّما هو ممكن أن يكون تغييراً جذرياً في فكر الناس، أو هو دولة قويّة تقدّم الإسلام بفكره الصحيح وبأسلوبه المستقيم ويتمحور الناس حوله ويقبلونها؟

الجواب:الواقع إذا تناولنا الموضوع بلحاظ ديني، فإنّ الروايات المتواترة عند السنّة والشيعة بالإجماع ـ لم يشذ عنهم شاذ ـ قد نصّوا على هذا الرجل الذي اسمه المهدي (عليه السلام) أو صفته المهدي وصفته القائم، وعندنا نحن باسمه الشريف ابن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام)، وعندنا صفاته الجسميّة موجودة في الروايات، وعندنا أنه ولد في (١٥/ شعبان)وقد روت السيّدة حكيمة يوم ولادته وكيف ولد، وعندنا أنّ هذا الإمام هو الذي سوف يملؤ الأرض قسطاً وعدلاً

هذا كلّه موجود بمئات بل بآلاف الروايات، فمثلاً أحد الكتب التي جمعت قسماً من هذه الروايات اسمه (العبقري الحسان) باللغة الفارسية وقد طبع على الحجر، ولو يطبع بالطبعة الحديثة فسوف لن يكون أقل من عشرين مجلّداً، قد جمع مؤلفه بعض تلك الروايات التي تحدّثت عن الإمام المهدي، كما لدينا موسوعات تحدّثت عن الإمام المهدي (عليه السلام) وجمعت الروايات حوله ومن أفضل هذه الموسوعات موسوعة سالإمام المهدي (عليه السلام) لآية الله العظمى الشهيد المظلوم السيد محمّد الصدر قدس سره.

فالرؤية الدينيّة الإسلامية للإمام المهدي (عليه السلام) محصورة به.

السؤال الثاني:

لو افترضنا ـ كما قلتم ـ أنّ المجتمع الإنساني في وقت الظهور قد وصل إلى أعلى درجة من التكامل الإنساني، فهناك إشكال، وهو الحديث المشهور الذي يقول أنّه: «سيملؤ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً» فحيث هناك تناقض ـ ظاهراً ـ بين الحديث والمطلوب، نرجو توضيح ذلك ورفع هذا التناقض جزاكم الله خير الجزاء؟

الجواب:

طبعاً عندما نتحدّث عن مجتمع قبل الظهور فهو غير المجتمع الذي سوف يكون في ما بعد الظهور.

أمّا كيفيّة امتلاء الأرض بالظلم والجور؟ فتفسير هذا الامتلاء فيه آراء كثيرة، لكن أهم تلك التفسيرات هو أنّ هذا الامتلاء قبل ظهور صاحب الأمر (عليه السلام) ما يكون المقصود منه الامتلاء على مرّ التأريخ، بحيث لم تبق منطقة لم يشملها الظلم والجور، وهو المعبّر عنه في الروايات التي تفسّرها طبعاً الروايات الأخرى، فإنّ الروايات تفسّر بعضها بعضاً، كما يفسّر القرآن بالقرآن وبالرواية، فنفسِّر الرواية بالرواية وبالقرآن.

وهذا التفسير اعتمد على جملة من الروايات، والموضوع يحتاج إلى تفصيل لست الآن بصدد بيانه وإنّما أشير إليه إشارة لأجيب على هذا السؤال، وهذه الرواية تقول ما معناه: ما يبقى أصحاب ملّة إلاّ وحكموا قبل صاحبنا أو قبل حكمنا، وفي روايات أخرى لئلاّ تكون للناس حجّة فيقولوا لو حكمنا لعدلنا[1]

هذا المقصود من «لو حكمنا لعدلنا» معناه أنّ الكل سوف

---

(١) روى النعماني في الغيبة: ٣٧٤/ الباب ١٤/ ح٥٣ بإسناده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال: «ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلاّ وقد ولوا على الناس حتّى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحق والعدل».

يحكم، وأن الكل تظهر منه مظاهر الجور والظلم بما يمتلىء به الوضع الأرضي، ممّا يمكنه أن يمتلىء.

وأمّا امتلاء الأرض قسطاً وعدلاً بعد الظهور، فيعني أنّ البشرية تكون متكاملة.

أمّا كيف يكون وكيف يتحقّق التكامل، فهذا يحتاج إلى حديث مفصّل، باعتبار أنّ التكامل الذي يظهر في دولة صاحب الأمر ويملؤ الأرض يطرح علينا سؤالاً هو: الأشرار أين يذهبون والظلاّم أين يذهبون؟ وهذا ما يجاب عنه أنّ في دولة صاحب الأمر (عليه السلام) يحكم بحكم داوود، وهل يوجد في حكمه إلاّ السيف؟!

وهناك ينشق موضوع السيف والقوّة والحديد والحوار، وهذا يحتاج إلى مجال للحديث وتفصيل عن متى يستعمل السيف؟ ومتى يستعمل الحوار؟

وهذا الموضوع له من الأهمية الكبيرة ما نحتاج إلى البحث عنه، ولكن المقصود منه هنا هو التأكيد على أنه بعدما تتوفّر في حكمه كل الظروف لتطهير الإنسان وتطهير الأرض فسوف يتطّهر الإنسان، وحينئذٍ يمكن للإنسان أن يصل إلى مراتب الكمال.

يوجد هنا موضوع آخر وهو قد يعبّر عنه بالتأثيرات الاجتماعية على سلوك الفرد وسلوك المجتمع، والمعبّر عنه في علم الاجتماع بالعقل الجمعي، هذه نظرية العقل الجمعي وتأثير

العقل الجمعي على العقل المفرد أو السلوك الفردي بالنسبة للإنسان والسلوك الجماعي للأمّة كمجتمع، سوف يتخلّص الفرد من العقل الجمعي الشرّير والجائر والظالم في دولة صاحب الأمر (عليه السلام)، فلذلك يتوفّر للإنسان العقل الكامل والعقل المرشد.

السؤال الثالث:

إذا كان الإنسان في عصر النبي (صلّى الله عليه وآله) والأئمّة (عليهم السلام) لم يصل مائة بالمائة إلى الإنسان الكامل، فما هي يا ترى نسبة الإنسان الكامل في عصرنا هذا الذي نعيشه؟

سؤال آخر حول نفس المحور تقريباً:

في الأوّل والآخر الله وحده العالم ولكن حسب علمكم ما مدى نضج المجتمع الإنساني في الوقت الحاضر ليكون بمستوى مجتمع عصر ظهور الإمام المهدي (عليه السلام)؟

الجواب:

قلنا بالنسبة إلى ظهور الكمكالات أن شغل الأنبياء وشغل الأئمّة (عليهم السلام) ليس على الكم، فالمهمّة الأساسية التي كانت على النبي وعلى الأنبياء الذين سبقوه والأئمّة (عليهم السلام) لم يكن الأصل فيهاالعدد الكمي وأنّهم كانوا يسعون أن يربوا أكثر ما يمكنهم ويستطيعوا تربيتهم من الإنسان الكامل، وإنّما كان اهتمامهم متمركزاً في الجانب الرتبي من الإنسان، يعني إظهار أعلى مراتب الإنسان الكامل وإن كان أقل عدداً.

أمّا في عصر اكتمال الشريعة، وعندما تكتمل الشريعة، وعندما يتحقق المصداق الأكل للآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[1] الذي هو في عصر الإمام المهدي (عليه السلام) حيث يظهر الكمال بأجلى مظاهره في تمام الشريعة، وهذا يوفّر الفرصة لظهور الإنسان الكامل، وتلاحظون أن هذا شرط أساسي للإنسان، فلذلك لم تكن مهمة الأنبياء هي المساحة الكمية، وإنّما كانت المهمة هي المساحة النوعية، عندما تتكامل المساحة النوعية في آخر المجتمعات الإنسانية فإنه سوف تظهر في ذلك المساحة الثانية وهي المساحة الكمية.

أمّا مجتمعنا أو باقي المجتمعات والقياس عليها ـ كما سألتم ـ فهذا حديث يحتاج أن نتحدّث عن مجتمعنا والقوانين الإجتماعية الحاكمة في المجتمع الإنساني بشكل عام والإسلامي الذي نطمح إليه، وهذا يحتاج إلى بحث خاص.

أمّا إلى أين وصلنا، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المجتمعات التي تحضى بنظرة صاحب الأمر (عليه السلام)، ويرحمنا ويرفعنا من مستوانا إلى أعلى مستوى، ويجعلنا ممّن يوفّق لرؤيته وخدمته والظهور في دولته (عليه السلام).

والحمد لله رب العالمين.

* * *

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

بعض المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الاحتجاج: الشيخ الطوسي /مطابع النعمان/ النجف الأشرف.

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد/ دار المفيد/ مؤسسة آل البيت.

إعلام الورى بأعلام الورى: الشيخ رضي الدين أبو نصر الطبرسي/ مؤسسة آل البيت.

إكمال الدين وإتمام النعمة: الصدوق/ تحقيق علي أكبر غفاري.

بحار الأنوار: الشيخ محمّد باقر المجلسي/ المكتبة الإسلامية/ طهران ـ إيران.

تفسير القرآن العظيم: الحافظ ابن كثير /دار المعرفة/ بيروت.

تفسير القمي:أبو الحسن القمي/ مؤسسة دار الكتاب/ قم.

تهذيب تأريخ دمشق الكبير: أبو القاسم المعروف بابن عساكر.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمّد الطبري/ دار الفكر/ بيروت.

الخرائج والجرائح: الراوندي/ مؤسسة الإمام المهدي/ قم.

الخصال: الشيخ الصدوق/ جماعة المدرسين/ قم.

الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي/ دار الفكر/ بيروت.

دلائل الإمامة: المحدث الشيخ الطبري الشيعي/ مؤسسة البعثة/ قم.

سنن أبي داوود: الحافظ السجستاني/ دار الفكر/ بيروت.

شرح الأخبار في فضائل الأئمّة الأطهار: القاضي أبو حنيفة التميمي/ مؤسسة النشر الإسلامي/ قم.

شرح أصول الكافي:المولى محمّد صالح المازندراني.

الكافي: الشيخ الكليني/ دار الكتب الإسلاميّة/ طهران.

الكامل في ضعفاء الرجال:الحافظ الجرجاني/ دار الفكر/ بيروت.

كتاب الغيبة: الشيخ محمّد النعاني/ مكتبة الصدوق/ طهران.

كتاب الغيبة: الشيخ الطوسي / مؤسسة المعارف الإسلامية/ إيران.

كتاب الفتن: أبو عبد الله المروزي/ دار الفكر/ بيروت.

كشف الغمة في معرفة الأئمّة: عليّ بن عيسى الأربلي.

كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: المتقي الهندي / مؤسسة الرسالة/ بيروت.

المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري/ دار المعرفة/ بيروت.

مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل/ دار صادر/ بيروت.

مصنف ابن أبي شيبة في الأحاديث والآثار: الحافظ عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة/ دار الفكر/ بيروت.

مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب/ المطبعة الحيدرية/ النجف.

* * *

الفهرس

الإهـداء ٥
مقدمة الطبعة الرابعة ٧
معالم دولة الإمام (عليه السلام) ١١
النظرة الشيعية للعلاقة الجدلية بين الإنسان والدولة ١٩
مكونات مشروع الإمام المهدي(عج) ٢١
الاسلوب الأمني في عمل الأئمة (عليهم السلام) ٢٥
التفسير الأول ٢٦
التفسير الثاني ٢٩
مميزات حركة الأئمة (عليهم السلام) السياسية ٣١
الميزة الأولى لحركة الأئمة (عليهم السلام) ٣١
الميزة الثانية لحركة الأئمة (عليهم السلام) ٣٣
الكتمان ٣٣
الإذاعة ٣٤
التقية ٣٧
الميزة الثالثة لحركة الأئمة (عليهم السلام) ٣٨
الدَّولة في عصر الغيبة الكبرىٰ ٦١

الطريقة الثانية: «الحُسْبة» الفقهية. ٦٣
دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ٧٠
الأُفق المكاني ٧٣
الأُفق الزماني ٧٤
أفق الجماعة ٧٥
المستوىٰ المكاني لدولة الإمام المهدي(عج) ٧٦
المستوىٰ الزماني لدولة الإمام المهدي(عج) ٧٧
مستوىٰ الجماعة لدولة الإمام المهدي(عج) ٧٩
الندوة الأولى: حركة الإمام المهدي (عليه السلام) والحتمية الإلهية ... ٨٧
الحتمية الإلهية ٨٩
ملامح الحركة المهدوية ٩٠
تكامل الأدوار ٩٢
مراحل تأهيل المجتمع ٩٦
منبع التغيير ٩٩
عصرالظهور ١٠١
عصر التكامل ١٠٢
الأسئلة والأجوبة ١٠٨
الندوة الثانية: دور العراق في حركة الإمام المهدي (عليه السلام) ١٢١
شمولية النظريّة الإسلاميّة ١٢٣
خصوصيّة العراق ١٢٥
مراحل دور العراق ١٢٧
لاحظ شيئين ١٣٥

عاصمة الدولة المهدوية ١٤١
الأسئلة والأجوبة ١٤٤
الندوة الثالثة: التطوّر الحضاري في دولة الإمام المهدي (عليه السلام) ١٥١
مفهوم الدولة ١٥٣
الدولة الإسلاميّة ١٥٤
خاتمة الدول ١٥٦
الرؤية الأولى: الرؤية الدينيّة المطلقة ١٥٧
الرؤية الثانية: الرؤية الخاصّة ١٦٠
النظرية الغربية ١٦٠
بركات الدولة المهدوية ١٦٣
إعجاز الإمام المهدي (عليه السلام) ١٧٣
البعد الاقتصادي ١٧٦
الأسئلة والأجوبة ١٧٨
الندوة الرابعة الإنسان الكامل في دولة الإمام المهدي (عليه السلام) .. ١٨٣
الإنسان بين الخلقة والكمال ١٨٥
النظرية الإسلاميّة في تكامل الإنسان ١٨٩
الغاية من خلق الإنسان ١٩٣
مجتمع عصر المعصومين ١٩٥
مجتمع عصر الظهور ١٩٦
مظاهر الكمال ١٩٩
الأسئلة والأجوبة ٢٠٥
مصادر التحقيق ٢١٢